الأوهام الخمسة

تأليف

أحمد جمال البنا

مقـدمة

الإسلام .. ما هو ؟

ولماذا الجدل الدائر حوله فى كل زمان ومكان ؟

لماذا دائماً نحن فى موقف الإتهام ؟ .. لماذا نقف دائماً فى موقف الدفاع عن رسالة الإسلام ؟

حينما نتعلم شريعة الإسلام ونعلم حقيقته نجد أنه أعظم دين وأرقى منهج .. و لم يكن غريباً على رسالة الإسلام بعظمتها وجمالها أن تقيم حضارةً تمتد إلى ألف عام فى بقاع الأرض من بلاد الأندلس إلى إفريقية إلى شرق آسيا ..

إذن فلماذا يرتبط بالوحشية وينسب إليه دائماً الصراع والقتال ؟؟

نستطيع أن نقول أنه حينما وجد هوى النفس وشهوات البشر وجدت الصراعات .. فحينما قتل الأخ أخاه كان بطمعه فى امتلك أخوه .. وهكذا ...

فرسالة الإسلام جاءت طاهرة نقية لم يشوبها شائبة إلى فترة معينة دخلت فيها أطماع البشر وحقد الحاقدون على نجاح الدعوة ورقى الأمة ، فحاولوا هدمها وسلكوا كل السبل فى سبيل تفريق الأمة ونشر البغضاء والكراهية والصراع والشقاق بين أهل الإسلام ..

فكانت البداية بمنع المسلمين من نشر الخير بين جموع الناس فبدأ أهل الكفر بتعذيبهم وعزلهم ومقاطعتهم وغير ذلك من ألوان العذاب الذى لاقاه المسلمون فى بداية الأمر .

ثم لما وجدوا صبر المسلمين وجلدهم وثباتهم واستمرار دعوتهم وإقامة دولتهم لم يجدوا بداً من حربهم والقضاء عليهم فقاموا بعدة حروب للقضاء على هذه الدولة الوليدة فلم يفلحوا أيضاً ..

وظل المسلمون هكذا فترات طويلة إلى أن بدأ نوع آخر من الحروب وإن كانت غير ظاهرة إلا أنهم مؤثرة فى كيان رسالة الإسلام ، وهى قتال أبناء الدين الواحد والوطن الواحد والتفريق بينهم ..

وهذا ما حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : " إن الشيطان آيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ، ولكن فى التحريش بينهم " [1] أى رضى بأن يوقع بينكم العداوة والبغضاء والصراع والقتال حتى تضيع رسالة الإسلام ويضيع أمر الناس ..

ولما رأى أعداء الإسلام شدة تمسك أهل الإسلام بدينهم دخلوا إليهم من هذا المدخل ، فقاموا بنشر الفرقة باسم الدين فأدخلوا الكثير من الأحاديث الموضوعة والمكذوبة على رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فرصد ذلك أهل العلم الثقات وقاموا بجهد عظيم لحفظ السنة وبيان الأحاديث الصحيحة من الضعيفة والمكذوبة حتى لا يضيع الدين ويتفرق المسلمون ..

فلما لم يجدوا سبيلاً قاموا بنشر الفهم الخاطئ بين المسلمين فى آيات وأحاديث صحيحة لا ينكرونها ، وإنما نشروا فهماً مخالفاً لما عليه جموع المسلمين فى كل زمان ومكان ، وساعدهم فى ذلك فرقاً من المسلمين دفعتهم شهوتهم فى إعلاء كلمتهم والسيطرة على الغير إلى أن يتبنوا أفكاراً بعيدة عن مفهوم الدين الصحيح ، وبهذا الفهم الخاطئ أوقعوا الشقاق والنزاع بين أهل الدين الواحد ثم اتخذوا هذا الحال وصدروه إلى العالم ثم قالوا : انظروا ... هذا هو الإسلام !

وفى ظل ما نعانيه اليوم من اضطراب فى المفاهيم وخلل فى منهجية التفكير ، واعتزاز كل إنسان برأيه وعدم التحاكم إلى الجهات المعتمدة فى ما يتعلق بالفكر الإسلامى بالإضافة إلى انفتاح الساحات الفكرية بما يسمى الآن وسائل التواصل

[1] صحيح مسلم برقم 2812

الإجتماعى بلا ضابط ونقل الأفكار بكل سهولة بلا اعتماد ولا توثيق من الجهات العلمية خاصة بما يتعلق بالأفكار الدينية... كل ذلك أدى إلى انتشار الأفكار المغلوطة وإعادة بث الكثير من الأفكار المتطرفة الموجودة فى كتب التكفير القديمة وانتشار تلك الأفكار فى وسائل التواصل الإجتماعى بكل يسر بين الشباب مما أدى إلى تجنيد الكثير من الشباب ممن ليسوا من ذوى الخبرة والفهم بالأصول وفقه الاصطلاح فى تلك الجماعات ، وأدى ذلك بدوره إلى تكثيف العمليات الإرهابية المتطرفة فى بلاد المسلمين وفى بلاد الغرب أيضاً ، ووقوع الكثير من الشهداء والضحايا الذين لا ناقة لهم ولا جمل وأحياناً لا دراية لهم بما يحدث ، بالإضافة إلى ما يحدث من تخريب فى المنشآت العامة والخاصة وإحداث الكثير من الخسائر المادية والمعنوية فى تلك المواقع والضرر الواقع بسبب ذلك .

ومعلوم أن تلك الجماعات قد أشاعت أفكاراً استندوا إليها فى تفنيد أفعالهم وتبرير مواقفهم ، وقد تفرقت المراجع المأخوذ منها تلك الأفكار ، ما بين آيات قرآنية وأحاديث نبوية لم يكونوا على دراية بدلالة الألفاظ فيها ولا تنزليها على الواقع ، وما بين آراء لعلماء قديمة كانت فى عصر معين لسبب معين ، وتم إيقافها لزوال سببها ، وتركت تلك المراجع فى التراث لدراسة التاريخ والفرق ومعرفة الفرق بينهم لتمام الفهم والإيضاح فقط ، إنما اتخذوا منها ذريعة لنشر أفكارهم الهدامة وتبرير القتل ونشر الفوضى فى البلاد .

وقد قام علماء المسلمين قديماً وحديثاً بالرد على تلك الأفكار ومراجعتها ونقضها تماماً ، كذلك قام المعتنون بالفكر والبحث بدراسة تاريخ تلك الفتاوى وبيان سببها واختلاف ظروفها عن وقتنا الحاضر ، وقد نشرت العديد من الكتب والمقالات والأبحاث فى ردأ تلك الأفكار فى مختلف الجامعات والصحف والمجمعات البحثية المختلفة .

ولكن يتبقى لنا معضلة فى وقتنا الحاضر ، وهى أن تلك المراجعات والردود التى فندها أهل العلم قديماً وحديثاً ظلت حبيسة الكتب ، لم تنشر بين أوساط الشباب ، فلن يجدها إلا من بحث عنها ، أما أن تنشر بين أيدى جميع الناس فى هواتفهم ومواقعهم بالأسلوب والطريقة التى تناسبهم وبلسانهم الآن فهذا لم يحدث إلى هذه اللحظة .

وعلى هذا ففى هذا الكتاب ، اختصار لتلك الردود بطريقة أسهل وأنسب لعقول هؤلاء الشباب الذين يتم تجنيدهم للأفكار يومياً عن طريق مواقع التواصل الاجتماعى لتكون درءاً للفتنة وحماية للكثير من شبابنا من الوقوع فى تلك المخططات والجماعات المتطرفة.

وقد جمعت فى هذا البحث أهم القضايا التى تستند إليها الجماعات المتطرفة والرد عليها ولخصتها فى خمسة قضايا ، وسميتها : الأوهام الخمسة للجماعات المتطرفة ، حيث أن كل ما قالوه وَهم لا يصدقه غيرهم ، و كذب محض أشاعوه بين الناس وغلفوه بغلاف الشريعة من كلام الله وكلام رسوله .

وقد قسمت هذه الرسالة إلى قسمين :

الفصل الأول رؤية شاملة لفهم طبيعة الإسلام من هذه الجهة وكيف نفهم نصوصه وكيف يؤثر الفهم الخاطئ ويئول بنا إلى الأفكار المغلوطة ، وما هى رؤية الإسلام للعنف وعلى النقيض رؤيته للجمال والذوق الذى هو طريق الحلم والسلام ..

والفصل الثانى عرض للقضايا التى استند إليها جماعات التطرف فى تنفيذ أعمالها وسميتها بالأوهام الخمسة ، لأنها من قبيل الوهم وفهم خاطئ لما جاءت به الشريعة السمحة .

أحمد جمال البنا

القاهرة

2019/12/12

الفصل الأول

رؤيـــة شـــاملة

الإسلام .. ما هو؟

منذ فترة بعيدة ، سألت أحد أساتذتى : كيف أعرف أن الخطاب الدينى الذى أسمعه خطاب صحيح يتطابق مع أصول الإسلام أم لا ؟

فأجابنى بكلمات لازالت فى أذنى إلى اليوم .. قال لى : حينما تخرج من سماعك بنفس هادئة وقلب مطمئن ، يشع نوراً وخيراً لكل من حوله وما حوله ، قلب يتدفق فيه الحب حتى يخرج لغيره من الأكوان ، حينما تخرج منه ليس فى قلبك بغضاً لأحد أو حقداً أو شماتة على أحد ، وليس فى قلبك هماً يقودك إلى التدمير والتخريب وإنما طاقة نور تحملك إلى البناء والإحياء وإصلاح النفوس ..

فخرجت من هذه الإجابة بمجموعة من الأفكار التى ظلت عالقة فى وجدانى إلى اليوم .

وظللت أسأل .. فما بال أؤلئك الذين رفعوا شعار الدين بأنه مجرد صراع بين طوائف البشر ، فرفعوا السلاح وأراقوا الدماء ونشروا ثقافة البغضاء والكراهية فى القلوب قبل أن تتحول إلى سلوك وأفعال ..

تلك الفكرة التى ترسخت منذ سنوات طويلة فى أذهان الكثيرين حتى فى أذهان وعقول من لم يؤمن بالإسلام بأنه أينما وُجد الإسلام وُجد معه القتال والصراع والكراهية ، والتى كانت حاجزاً مرتفعاً بيننا وبين من يريد أن يتعرف على هذه الدين العظيم فضلاً عن أن يؤمن به ..

وحينما كنت اتجول بين نصوص السنة المشرفة أجد ما قاله رسول الله عن أعظم أصحابه وهو أبو بكر الصديق – رضى الله عنه - :" ما سبقكم أبو بكر بكثير صلاة ولا صيام ، وإنما بشىء وقر فى القلب " [2] ...

فأتعجب من ذلك ... كيف لنا ونحن المسلمون لم نلتفت إلى حقيقة الدين بعد هذا الحديث ، فالدين هو ذلك الشعور القوى الذى يتمكن من الإنسان بأن لهذا الكون إلهاً حكيماً مدبراً ليس بغافل عن شىء ، يهيمن علينا ويقوم على أمورنا ، هذا الشعور يجعل الإنسان دائماً فى حالة رهبة وخشوع ويقظة يستطيع من خلالها أن يداوم على عمل الخير ، ويراجع نفسه إن أخطأت ، ويبث قلبه حباً وخيراً لكل ما حوله من الأكوان ...

ومن هذا تكون الشرائع لها قيمة وتأثير ، فما قيمة الصلاة بلا خشوع ؟ وما قيمة الحج بلا شعور ؟ وما قيمة الصيام وأنت لم تنته عن المنكر ؟ وما قيمة الزكاة وأنت متكبر تمن على غيرك بما تدفع إليه ؟ .. وما قيمة الشهادة بلا فهم عميق لمعناها ؟؟!

أما أن يتحول الدين إلى مجموعة من الصراعات لفرض الرأى والسيطرة على مقاليد الأمور فذلك من تلبيس الشيطان وهوى النفس وشهوة السيطرة والحكم على الآخر .

ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك أروع الأمثلة ، فقد كان عظيم الإهتمام بفرض تلك الفكرة على جموع المسلمين ، أننا لسنا أهل عدوان أو صراعات ، إلا إذا فرضت علينا ..

فهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما فتح الله له مكة المكرمة وجاء له أهلها صاغرون لم يكن منه إلا فتح لهم اوسع أبواب العفو والأمان ، فليس الهدف هو إزهاق النفوس وإراقة الدماء وإنما الغاية هى إحياء النفوس ...

[2] رواه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول

الإسلام ومنهجية التفكير

نزل الإسلام إلى الناس من رب العالمين بمنهج شامل يستطيع تنظيم الحياة فيما بينهم والسير بهم فى سبيل الحياة الآمنة المستقرة التى تضع القواعد والنظام لكل فرد فى هذا البناء ، وبالتالى يأخذ كل صاحب حق حقه ولا يعتدى أحد على أحد .

وحينما نزل الإسلام نزل بواسطة جبريل عليه السلام على النبى محمد صلى الله عليه وسلم كى يبلغه للناس ، أى يبلغ الناس مراد رب العالمين .. ما يريده منهم ، ويوضح ويفسر لهم المقاصد والمعانى التى يريدها الله بين الناس ، وبالتالى أصبح هناك ما نسميه بـ " السنة " التى هى كلام رسول الله وأفعاله وما رآه ووافق عليه ومواقفه من الناس وتصرفاته فى الأحداث المختلفة .. كل هذا كان مفسراً لمقصود رب العالمين ، والذى جاءت به الآيات الكريمة فى القرآن الكريم ..

فالقرآن كما قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه حمَّال أوجه ، أى تستطيع أن تفهم منه أكثر من معنى ، وبالتالى يمكن لعقل الإنسان إن كان يفكر بلا رابط أو منهجية أن يشطح بفكره إلى خارج السياق حتى يخرج بحكم أو بفهم مخالف لمراد الله تعالى مما يجعله يحكم أو يفتى بما يؤول بالناس إلى كوارث مجتمعية عديدة ، وكل هذا نتج عن سلوك الإنضباط الفكرى فى فهم النصوص الشرعية .

ولذلك خرج من عهد النبوة من الناس من يفهم النصوص بلا مرجعية ولا ضبط ولا منهجية أى بلا قاعدة يقرها الشرع يسير عليها ، ففهموا ما يريدوه من النصوص حتى ظنوا أن معهم الحق المطلق ، فهذا رجل يحضر تقسيم الغنائم بعد أحد الحروب التى شهدها رسول الله ، والنبى يقسم الغنائم وإذا بالرجل يصيح قائلاً : يا محمد .. اعدل فى القسمة !!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ويحك إن لم أعدل أنا فمن يعدل ؟ ! "

فهم به بعض الصحابة أن يضربه فمنعه النبى قائلا :" دعه .. فإنه يخرج من ضئضئ (صلب) هذا الرجل أناس تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم وصيامكم إلى صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون (يخرجون) من الدين كما يخرج السهم من الرمية"[3]

وفى الحديث عدة معانى مهمة :

أولا : أن هذا الرجل اعتقد فى نفسه أنه أعلى فهماً ومقاماً من رسول الله ، وزينت له نفسه أن عقله أفهم وأنه أعدل من رسول الله .. وهذا خلل فى التفكير ولا شك ..

ثانياً : أنه يخرج من صلب هذا الرجل أناس يتعبدون بقدر يتعجب له الصحابة - وهم أقرب الناس إلى الله – ومع ذلك لا يستقر الإسلام فى قلوبهم ، بل إن القرآن الذى يرتلونه ويتغنون به لا يجاوز تراقيهم (رقابهم) أى لا يصل إلى قلوبهم أصلا وبالتالى لا يخشعون له ولا يشعرون به ولا يؤثر فيهم ، فتجد الرجل منهم يصلى ويتعبد ويقرأ القرآن وهو هو نفس الرجل الذى يغش ويكذب ويريق دماء الناس بدعوى الدين وغير ذلك من المتناقضات الغريبة ...

ثالثا: أن نسل هذا الرجل سوف يمتد إلى يوم عصرنا هذا – وهذا ما رأيناه – أن وُجد بيننا أناس يرون أنهم أعبد الناس وأصلح الناس وأعدل الناس بل وأفهم الناس عن مراد الله ورسوله ، وادعوا أن لديهم الحق المطلق ولا يجوز أن يتهمهم أحد بالخطأ فهم أصحاب العلم والرأى الواحد الذى لا تعقيب عليه .

كل هذا بسبب عدم انضباط الفكر ، ولهذا قالوا : الفتوى صناعة .. أى أنها علم له قواعده وأصوله ، وقد اتخذ العلماء هذا الأمر أساساً يبنون عليه فقد أسس الأئمة مذاهبهم التى اعتمدتها الأمة قديماً وحديثاً والتى وضعت بإحكام شديد موافقةً لنصوص الكتاب والسنة اتفق عليها الناس ليس فيها شطط ولا خلل وسارت عليها الأمة قروناً فما

[3] صحيح البخارى برقم 3610

أوقعت الناس فى قتال ولا صدام لا بينهم ولا مع الآخر ممن اختلف دينهم ، وقد قام على سبيل المثال الإمام الشافعى رحمه الله بوضع أسس الفقه الإسلامى فى كتابه (الرسالة) الذى يعتبر الآن مرجعاً لأصول الفقه ، نتعلم منه كيف نستنبط الأحكام ونفهم منه مدلول الألفاظ وكيف نفهم الدليل ومناط الدليل وغير ذلك من الأصول التى تضبط العقل وتزن الفكر حتى لا يختل التفكير فيوقع الأمة فى الأزمات والبلايا وتفرق بين الناس وتفتح لهم باب القتال والصراع باسم الدين ...

مفهوم العبادة

قالت لى : لا أشعر بما كنت أشعر به قديماً من حالات رقة القلب واشتعال الشوق إلى الله وإلى العبادة ، للإسف لقد تغيرت إلى الأسوأ فقد شغلتنى الدنيا .. شغلنى العمل فى البيت ورعاية الأبناء ورعاية زوجى ووالدى ...

فقلت لها : للعبد مع الله قصة أو حكاية له فيها دور البطولة ، ينقله الله فيها من حال إلى حال ومن مقام إلى آخر ، فإذا كنتى فى بداية طريقك إلى الله مسرعة إلى العبادة وهذا أمر طيب فأنتى الآن انتقلتى إلى مقام آخر من مقامات العبادة وهى السعى على شئون بيتك !

فقالت : وهل هذه عبادة ؟ انا اتكلم عن الصلاة والقرآن والصيام ...

فقلت : كل ما نحن فيه من حياتنا الدنيا عبادة ، وللأسف قد تغير مفهوم العبادة فى العقود الأخيرة بفعل جهلاء الدين الذين رسخوا فى أذهان الناس أن العبادة ما هى إلا صلاة وصيام وأن العبد مقداره عند الله بمقدار عدد ركعاته وأيام صيامه فقط !

والعبادة مفهوم واسع فى الاسلام .. فكل عمل ليس محرماً تعمله هو عبادة حتى وإن لم تقصد فيه فعل العبادة ، فمراعاة الزوجة والأبناء عبادة ، فقد وصى بذلك رسول الله حين قال : " والرجل فى أهل بيته راع ومسئول عن رعيته " [4]

والسعى على الرزق والنصب من أجل الوصول إلى حياة كريمة عبادة من أعظم العبادات فقد قال صلى الله عليه وسلم : " من بات كالاً من عمل يده بات مغفوراً له " فالرجل حين يدخل بيته يلقى بنفسه على فراشه فيذهب فى نوم عميق من أثر تعبه بالنهار .. مغفور له ذنبه ! .

[4] صحيح البخارى برقم 2558

ومراعاة الزوجة لزوجها واهتمامها به أعظم عند الله من زوجة قائمة فى محرابها تصلى ولا تعرف عن زوجها شيئاً ، فإتقان المرأة وهى تعد طعاماً لزوجها خير لها من عبادات كثيرة ، فحسن التبعل (حسن التعامل) مع الزوج سبب كافى لدخول الجنة.

هكذا فالعلاقات الاجتماعية والإنسانية فى الإسلام عبادة تدخل صاحبها الجنة فأخلاقه مع من حوله وإنسانيته فى التعامل مع الإنسان والحيوان وحتى الجماد طريق إلى الله !

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سمع الجذع يأن لتركه الخطبة عليه نزل من على المنبر وتكلم معه ! وقال له :" ألا ترضى أن تدفن ههنا وتكون رفيقى فى الجنة ؟ " فسكن الجذع وهدأ واستقر .. [5]

ودفن الجذع (الجماد) مكانه وبقى إلى الآن مكانه تحت الاسطوانة المعروفة فى الروضة النبوية (اسطوانة المخلقة) تكريماً لجذع جماد تعامل معه الرسول كأنه إنسان يشعر ويتألم !

وحفاظك على جسدك من المرض ومراعاتك له بممارسة الرياضة والتغذية السليمة عبادة يثاب المرء عليها ولا شك فهذا الجسد أمانة والمحافظة عليه أمر من الله تعالى

هكذا علمنا الإسلام أن الوصول إلى الله ليست فقط بالعبادة الظاهرة ، فالعبادة الظاهرة جانب واحد من الآف الجوانب التى يصل العبد بها إلى الله .

أما فى عصرنا الحالى – على زعم أصحاب الجماعات المتطرفة – إيمانك منقوص ودينك مردود إن لم تُحكم بالشريعة ، أو تغير المنكر الذى تراه بيدك .. هذا هو دينهم الذى ارتضوه لأنفسهم ويريدون أن يفرضوه على الناس .

رؤية الجمال عند أهل التكفير

[5] سنن الترمذى برقم 3627

لم يشك عبد الله بن عباس رضى الله عنه فى أنه يستطيع بعون الله أن يرجع بالخوارج إلى حظيرة الإيمان .. هؤلاء الذين خرجوا على سيدنا على بن أبى طالب وألصقوا به تهمة الكفر على الرغم من أنه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج الزهراء فاطمة رضى الله عنها ووالد سيدا شباب أهل الجنة ، وهو نفسه قد شهد له النبى عليه السلام بالجنة ، ولكن الكبر والغشاوة على أعين هؤلاء صورت لهم بأدلة من القرآن أنه كافر! .. وهكذا الخوارج فى كل زمان ومكان يعتقدون أنهم أعلم الناس وأفهمهم حتى مع الأكابر فهم أعلم من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام وهم أتقى وأعلم من رسول الله نفسه فهذا كبيرهم – كما ذكرنا - ذو الخويصرة التميمى يقف أمام النبى وهو يقسم الغنائم فى إحدى الغزوات ويقول له : يا محمد اعدل فإن هذه قسمة لا ترضى الله ... فغضب رسول الله لقوله وقال :" ويحك.. إن لم أعدل أنا فمن يعدل ؟!" [6] ، فقد رأى نفسه أعدل من النبى نفسه .. وهكذا هم فى كل زمان ومكان ..

هم فقط من يفهمون الشرع ويحافظون عليه ، هم فقط من يقررون الحلال والحرام ، والرأى الخارج عن رأيهم سفه أو شطط أو تسيب وتمييع لدين الله ..

فلا تعجب إن رأيت الخوارج اليوم يكفرون ويقتلون ويحرقون ويدعون أنهم حماة الدين والشريعة وأن الدين لن تقوم له قائمة بدونهم .. وإن خالفتهم ألصقوا به تهمة الكفر والفسق ..

لكن ابن عباس الذى دعا له النبى عليه السلام بالفقه والفهم فى الدين كان قادراً على نقاشهم ومحاججتهم والإتيان بأربعة الآف منهم من أصل ستة الآف شخص منهم تائبين إلى الله .

ولكن شاهدى هنا فى هذا المقال ما فعله ابن عباس وهو ذاهب إليهم فى جدالهم ..

[6] سبق تخريجه

يقول ابن عباس عن ذلك : " لما خرجت الحرورية (الخوارج) على الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكانوا ستة آلاف .. فقلت لعلىّ : يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة لعلى أكلم هؤلاء ، فقال له : إنى أخاف عليك ، فقال : كلاّ ..

قال : فلبست وترجلت وتزينت ودخلت عليهم فى دار نصف النهار وهم يأكلون ، فقالوا : مرحبًا بك يا ابن عباس، بينا أنت خير الناس فما إذا أتيتنا فى زى الجبارين وملابسهم ؟

فقال لهم : قال الله تعالى :" قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ "[7] ثم قال : البس وتجمل فإن الله جميل يحب الجمال .. " إلى آخر المناظرة المعروفة [8]

فقد ارتدى أفخم ثيابه ووضع أجمل العطور وكان حريصاً على أن يظهر سمة الجمال فى شخصه ، لأنه ببساطة أدرك أن مشكلة الخوارج هى عدم رؤية الجانب الجمالى فى دين الله ، فهم لا يرون فى الدين إلا العنف والشدة والغلظة والبطش ، وأن المؤمن إنسان جاد لا يضحك ولا يجوز له أن يتباسط مع الناس ، ولا يهتمون إلا بقضايا الجهاد والأسر والقتل مع أنها تأتى لظروف معينة كباقى الأمم وليست الأصل فى هذا الدين ، ولكن الأصل هو الجمال .. هو دين الجمال .. الإحساس .. الذوق .. الحب ..

كثير من يسخر من هذا الكلام .. ولكن الساخر وضعه كوضع الخوارج لا يرى الجمال ، فالجمال والحب والذوق كلها معانى لا يدركها الإنسان إلا بالذوق .. و حينما سئل أحد العارفين عن ما يفعله بعض السالكين فى الطريق هل وردت فى الشرع ؟ قال هذه أمور لا يدركها إلا من ذاقها وعرفها ، وكما قالوا : من ذاق عرف ، ومن عرف اغترف .. أى من سلك طريق الحب والجمال يعرف أن السالكين لم يكونوا ضلالاً أو

[7] سورة الأعراف – آية 32
[8] سنن النسائى 5/167

مبتدعة وإنما ذاقوا ، فلما ذاقوا عرفوا طعم الجمال فلما عرفوا اغترفوا أكثر وأكثر حتى أصبح ديدنهم وحياتهم .

ميــلاد العنف

إذا كنا بصدد الحديث عن تيارات وجماعات دينية استخدمت العنف وسيلة لتحقيق الأطماع والأهداف الخاصة بهم ، فلابد لنا من إدراك الأسس النفسية والعقلية التى بنوا عليها تلك المفاهيم ، وكيف أن هذه الأسس منطبعة فى تاريخ البشر منذ خلق آدم عليه السلام إلى قيام الساعة.

فنحن فى هذا البحث نفند الأدلة العلمية التى ترد على ادعاءاتهم فى إباحة القتل والعدوان حتى إذا أثبتنا ذلك وضح جلياً أمام الناس أن دعواهم لإباحة القتل ما هى إلا شهوة فى صدورهم وغلاً فى أنفسهم يلبسونه بلباس الدين ويغلفونه بغلاف القرآن والسنة ، والإسلام منهم برئ ..

لذا نبدأ أولا فى تأصيل ظاهرة العنف وما يتعلق به من العقلية النفسية

فإذا نظرنا إلى الإنسان الأول وبداية الخلق لوجدنا أول حادثة للقتل فى التاريخ وهى حادثة قابيل وهابيل والتى استعرض فيها القرآن الكريم نهج البشر فى استخدام القتل كوسيلة لتحقيق الأغراض المختلفة ، حينها قتل ثلث البشر وخسرت البشرية ثلث قوتها حيث أنه كان سيخرج من صلب هابيل المليارات من البشر والذين يقدرون بثلث البشرية ، قضى على كل ذلك رغبة متوحشة فى السيطرة فى لحظة ما ..

ثم توالت مواقف العنف بين البشر على مر الزمان وهذا ما يجعلنا نتساءل .. ما هو الدافع للعنف ؟ وما هى القوة الكامنة فى الإنسان التى تجعله يعتدى على أخيه الإنسان حتى يزهق روحه وينهى حياته ؟ فلابد أن هناك أسس نفسية وعقلية داخلية تجعل الإنسان يجرؤ على هذا الفعل الشنيع ..

ويُعتبر العنف من أبرز المشكلات التي يواجهها العالم بأسره، بدءاً من العنف الأسري، و انتهاءً بالعنف المُمارس في الحروب والجماعات الإرهابية

ولا شك في أن اضطرابات الإنسان النفسية، مهما كانت بسيطة، كالغيرة والحقد والرغبة في الانتقام والشعور بالدونية، وغيرها، إذا ما اقترنت بعدم قدرة الإنسان على التعبير عن نفسه، وعجزه عن إيجاد وسائل سوية للتعامل مع اضطراباته وعلاجها، أو حين يفشل في إقناع الآخرين بوجهة نظره، أو ينطلق من اعتقاد أنه يمكنه فرض رأيه وسلطته على الآخرين باستخدام القوة، أو يشعر بعدم العدالة، ويقع فريسة القمع وانعدام الحريات والفقر والجهل والتحريض الطائفي والاضطرابات والمشكلات الاجتماعية

والنفسية غير المُعالجة، فإنه يجد في استخدام القوة وممارسة العنف، سواء كان بمفرده أو ضمن تنظيم، وسيلة مناسبة لتحقيق مآربه.

واختلف العلماء .. هل للجانب الجينى دور فى استخدام الإنسان للعنف ؟ أم أن العنف يولد لأسباب خارجية ضاغطة على هذا الإنسان تجعله مضطراً لممارسة العنف ؟

وقد بدأ الجدل في هذا الموضوع منذ عدة قرون، بناء على نظرية الفيلسوف الإنجليزي، صاحب نظرية العقد الاجتماعي توماس هوبز ، بأن العنف طبيعة بشرية، واعتبر أن الإنسان «أناني بالطبع» يتقبّل اللذة، ويرفض الألم، وينزع نحو استخدام القوة، لأنه يعيش في مجتمع يسوده «قانون الغاب» حيث حرب الكل ضد الكل، وهي صفة المجتمع البدائي. ولكن لما كان الإنسان اجتماعياً بالطبع، فإن عقله هداه إلى التفاهم والحوار والتوصّل إلى «عقد اجتماعي» يلتزم به جميع الأفراد.

وقد رأى جون لوك الفيلسوف الإنجليزى جون لوك رأياً مخالفاً ، فقد رأى أن أصل الصراع هو السيطرة .. وقد بدأت السيطرة قديماً على جزء من الطبيعة ، ثم تحولت بعد ذلك إلى السيطرة على الأموال والنساء والأرض والثروات الطبيعية ، وأن الصراع بدأ ضد أهل الإستغلال ...

والفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو يرى أن العالم الجديد والحضارة هما السبب الأساسى لتحول الإنسان الى العنف وليس الطبيعة البشرية.

ويرى سيجموند فرويد أن الإنسان كائن عنيف وعدواني بطبعه، على اعتبار أنه يتوفر على أهواء وغرائز فطرية تحتم عليه القيام بسلوكات ذات نزعة تدميرية قصد إشباع تلك الغرائز، ورغم أن للإنسان عقل فإنه لا يقوى على كبح جماع تلك النزعة التدميرية، الأمر الذي يستوجب استخدام كل الوسائل للتخفيف أو الحد من خطورة التهديد الذي يتوعد المجتمع والحضارة الإنسانية.

أما كارل ماركس فيرى أن تاريخ المجتمعات، هو تاريخ صراع بين الطبقات، الصراع بين من يملك وسائل الإنتاج والخبرات وبين من لا يملك، وقد أخذ الصراع أشكالا مختلفة بين طبقات الأحرار والعبيد(في المجتمعات العبودية) بين الإقطاعيين والأقنان في ظل النظام الإقطاعي، وفي المجتمع البورجوازي الحديث الذي قام على أنقاض المجتمع الإقطاعي الذي عرف بدوره صراعا بين البورجوازية والبروليتاريا.

رؤية الإسلام للعنف

اعتبر الإسلام منذ مجيئه أن لدى الإنسان الاستعداد لعمل الخير والشر، وقد خلقه الله وخلق معه عقلاً يدبّر به أموره ويميّز بواسطته بين الخير والشر، كما جاء في القرآن الكريم:". فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ "[9] وقال تعالى : " وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ " [10] أى طريق الخير وطريق الضلال وله أن يختار بينهما ، ومع ذلك، فقد اختلفت الفرق الإسلامية في تفسير النص القرآني والحديث، أما المفكرون المسلمون ، فقد تميّز بينهم في الحديث عن العنف أبو نصر محمد الفارابي المتوفى سنة 339 هـ ، الذي يعتبر أن الغلبة والقهر من خاصيات المدينة الضالة، أي "مدينة التغلّب" التي يقصد أهلها أن يكونوا قاهرين غيرَهم، وممتنعين أن يقهرهم غيرهم، ويكون كدّهم اللذة التي تنالهم من الغلبة فقط. أما ابن خلدون، فيعتقد أن العنف نزعة طبيعية في الإنسان، وهو يقول في هذا الأمر : " ومن أخلاق البشر فيها الظلم والعدوان بعضهم على بعض، فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه فقد امتدّت يده إلى أخذه، إلاّ أن يصدّه وازع". ويقول أيضاً : "إن الحرب -والمقاتلة- لما تزل واقعة في الخليقة منذ برَأها الله ... لا تخلو عنه أمة ولا جيل، وسبب هذا الانتقام في الأكثر إما غيرة

[9] سورة الزلزلة – آية 7،8
[10] سورة البلد – آية 10

ومنافسة وإما عدوان، وهذا أمر طبيعي، وإما غضب لله ودينه.. " [11]

وعموماً فإن الإسلام يرى أن الإنسان أمامه طريق الخير وطريق الشر ، وله أن يختار بينهما ، فقد خلق الله له العقل المميز الذى يجعله قادراً على التفريق بين الخير والشر ، ولم يجبره على فعل شيء ، ويستطيع الإنسان أن يتحكم فى مشاعره نحو الغضب فلا ينفذ غضبه ويحوله لقتل وتخريب وتدمير ..

وقد نبذ الإسلام العنف ومنعه فى الكثير من الآيات والأحاديث الصحيحة ، ومن ذلك قول الله تعالى :" وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَاوَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا " [12] وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً "[13]

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول: "ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ماله ودمه وأن نظن به إلا خيراً"[14]

وقد أوصى رسول الله عليه الصلاة والسلام الغاضب بأن يتغلب على غضبه ، فقال لأحدهم : " لا تغضب .. " [15] وأوصى الأخر بأنه إذا غضب فليغير من هيئته حتى يتحكم فى انفعاله ، فإن كان واقفاً فليجلس وإن كان جالساً فليرقد ..

وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه لم يضرب امرأة قط ولا خادماً ، ومعلوم أن الزوجة أو الخادم (اى من يعيشون معه) يقعون فى أخطاء لكنها لم تكن دافعاً له أبداً لارتكاب العنف ورفع اليد بالضرب أو بغيره ، وإنما يغير من طباعهم بالحلم والأناة ،

---

[11] مقدمة ابن خلدون
[12] سورة النساء – آية 93
[13] صحيح البخارى برقم 6862
[14] سنن ابن ماجه برقم 3932
[15] صحيح البخارى برقم 6116

فقد روى عن أنس رضى الله عنه أنه قال : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فلم يقل لشيء فعلته لم فعلت ؟ ولا لشيء لم أفعله .. لِم لم تفعل ؟ " [16]

هكذا كان رسول الله يعلم من حوله أن العنف ليس سبيلاً لأخذ الحق أو لتعليم الناس ، أو لتغيير الواقع السيء ، وإنما بالدعوة والحكمة والصبر على الناس ، وقد أرسى عليه الصلاة والسلام قاعدة هامة فى هذا الشأن حينما قال : " إنما العلم بالتعلم وإنما الفقه بالتفقه " [17] أى أن هذه صفات مكتسبة يستطيع الإنسان من خلال التدريب عليها أن يكتسبها .. ومن ذلك : الغضب والتحكم فى الإنفعال .

سمات أهل العنف من المسلمين

من حديث ذلك الرجل الذى عارض رسول الله فى حكمه ومما رأيناه فى مختلف العصور وجدنا أن صاحب الدين الذى اختلت منهجية التفكير عنده له بعض المظاهر التى يشترك فيها أهل هذا الفكر وهى :

- "الفكر الصدامى : فهو يرى أن العالم كله فى صدام مع المسلمين وفى حالة حرب دائمة للقضاء على الإسلام وذلك يتمثل فى أجنحة الشر الثلاثة : الصهيونية (اليهود) ، التبشير (نصارى) ، العلمانية (الإلحاد) وأن هناك مؤامرة تحاك للإسلام فى الخفاء مرة وفى العلن مرات ، وأن هناك استنفاراً للقضاء علينا مللنا من الوقوف أمامه دون فعل مناسب .

[16] صحيح البخارى برقم 1973
[17] صحيح البخارى برقم 929

- وجوب الصدام مع ذلك العالم حتى نرد العدوان والطغيان ، انتقاماً لما يحدث فى العالم الإسلامى ، ووجود الصدام يأخذ صورتين : الأولى هى قتل الكفار الملاعين ، والثانية هى قتل المرتدين الفاسقين

أما الكفار الملاعين فهم كل إنسان لا يشهد الشهادتين ، وأما الفاسقين المرتدين فهم كل من شهد الشهادتين وحكم بغير ما أنزل الله وخالف فكرهم ..

- أن فكرهم يراد له أن يكون من نمط الفكر السارى وهذا معناه أنه لا يعمل من خلال منظمة أو مؤسسة يمكن تتبع خيوطها بقدر ما يعمل باعتباره فكراً طليقاً من كل قيد يقتنع به المتلقى له فى أى مكان ، ثم يقوم بما يستطيعه من غير أوامر أو ارتباط بمركز أو قائد ..

وعليه فإن الفوضى سوف تشيع بصورة أقوى وتنتشر بصورة أعمق ، وهذه النظرية لها ارتباط عضوى بنظرية الفوضى الخلاقة ، وهو المصطلح الذى شاع فى الاستعمالات السياسية والأدبية فى الفترة الأخيرة ، وإن كان الكثيرون لا يدركون معناه ولا النموذج المعرفى المنتمى إليه ." [18]

- ومن تلك الخصائص التشدد والتنطع أى اتخاذ الشدة فى وقت لا يجوز فيه التشدد

- ومن صفاتهم الكبر والغرور كهذا الرجل الذى رأى أنه أعدل من رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فهو يحتقر كل رأى سواه ، فرأيه قطعى لا يجوز الجدال فيه ، مما تختل معه قائمة الأولويات وترتيبها ، وتقدم سفائف الأمور على عظائمها ، والمصلحة الخاصة على العامة ، وهذا كله يؤثر سلباً على المحتمع وعلى صورة الإسلام كله .

[18] المتشددون للدكتور على جمعة – ط/دار المقطم – ص/11

- ومن صفاتهم أنهم يعيشون عصر النبى ولا يعيشون حياة النبى أو منهجه ، فهو شديد الاهتمام بالمظهر والملبس وطريقة الطعام وغير ذلك من الأمور التى تقترن بالعصر وليس لها ارتباط بالمنهج نفسه .

- اتساع مفهوم البدعة التى حذر منها رسول الله (كل حاجة بدعة) ، اعتماداً على الحديث الشريف : " من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " [19] فاختلقوا من ذلك فهماً عجيباً وهو أن كل فعل لم يفعله رسول الله فى الدين هو بدعة مردودة على صاحبها ، وهذا عين الجهل والخلل بقواعد اللغة والأصول ، فالحديث يقول : " من أحدث " أى من اخترع عملاً جديداً لم يكن موجوداً ، يعنى اختلق عبادة جديدة ، ثم يقول : " ما ليس منه " أى اختلق عبادة جديدة ليس لها أصل فى عبادات الإسلام ، وهذا هو تفسير الإمام النووى والعز بن عبد السلام وابن حجر للحديث ، أى أن البدعة معناها أن رجلاً قام بخلق عبادة جديدة بخلاف الصلاة والصيام والذكر والحج وغير ذلك من العبادات المعروفة ، وقام يعبد الله بها فهذا مردود عليه ..

أما إن صلى فى وقت معين أو بعدد معين أو ذكر الله بذكر خاص أو بعدد معين فهذا عمل من ضمن عبادة موجودة أصلا فى الإسلام مثل الصلاة والذكر ..

وهذا ما فهمه الصحابة والتابعين والعلماء المجتهدين ، لذلك تجد من الصحابة من لهم عبادات وأوراد خاصة بأعداد خاصة لم يفعلها رسول الله ، فهى ليست بدعة مثل أبى هريرة حينما كان يسبح فى اليوم اثتنا عشرة ألف مرة ويقول : "هذه عتق رقبتى اليوم " لأن العبد كان يشترى بهذا الثمن ..

[19] صحيح البخارى برقم 2697

وهذا زين العابدين بن الحسين بن على حينما كان يصلى الضحى فى بستانه فى وقت محدد وبعدد محدد ، وغير ذلك من أفعال الصحابة الذين فهموا الحديث بهذا المعنى الصحيح .

كل هذه سمات ومظاهر لهذا الإنسان الذى اختل فكره ، وابتعد عن الفكر الممنهج الذى وضعه العلماء فخرج بفكر مختل مختلف عن صحيح الإسلام وأوقع أهل الدين فى فتنة وقتال وحمل السلاح على إخوانه من المسلمين بما أوقعه فيه عقله الفاسد ، وظل يقتل الناس ويرضى شهوته فى السيطرة وألبس ذلك ثياب الدين فقتل باسم الإسلام وعادى الناس باسم الإسلام وأقام التخريب والتدمير فى البلاد باسم الإسلام ، فما كان إلا أن ذهبت صورة الإسلام النقية الطاهرة من أذهان العالمين ، وبقيت تلك الصورة الوحشية التى ارتبطت به ، والتى يعانى منها المسلمون فى بقاع الأرض إلى يومنا هذا.

وتعالوا بنا فى الجزء الثانى من الكتاب نغوص فى بحار الأفكار المتطرفة ونفهم ما هى الأدلة التى استندوا إليها فى تنفيذ أعمالهم ونستعرض الرد عليها من كلام الله ورسوله وكلام أهل العلم قديماً وحديثاً .

الفصل الثانى

الأوهام الخمسة للجماعات الدينية

الوهم الأول : قضية الحاكمية

وتلك هى القضية الرئيسية التى يستند إليها أهل هذا الفكر حتى تكون لهم مبرراً لأفعالهم العشوائية الطائشة .. هى قضية الحاكمية .

والحاكمية كما يسمونها أنه لابد من الإحتكام الكامل لأحكام الشرع وعدم الأخذ بأى قوانين وضعية من وضع البشر ، وأطلقوا كلمة الكفر على كل من يأخذ بأحكام مخالفة لأحكام الشرع الإسلامى .

وهذا الكلام فى ظاهره كلام طيب يظهر التمسك بأحكام الشريعة وتقاليد الإسلام ، لكنهم أطلقوه على عمومه بدون قيد ولا فهم ولا تفصيل ولا فهم لمعنى مدلول الألفاظ فى الآيات القرآنية الدالة عليه ، فاستنادهم الكامل لآية سورة المائدة وهى قول الله تعالى : " وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ" ، وقوله تعالى : " وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ" وقوله تعالى : " وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ" [20] .

كما أنهم جاءوا ببعض الأحاديث المجتزئة والتى كان لها سبب معين وموقف محدد وقصد بها المشركين فاقتطعوها من معناها واتخذوا بها أحكاما وألصقوها بالمسلمين مثل حديث : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله ، فإن قالوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم " [21] وغير ذلك من الأحاديث ، وإليك بيان تلك الأدلة والرد عليها ...

الدليل الأول :

قوله تعالى : " وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ " [22]

اتخذوا من قول الله تعالى سبيلاً فى تكفير كل من لم يحكم بشرع الله ، واعتقدوا أن أى أمة لا تحكم بالشريعة أمة كافرة على العموم .. حاكمها كافر ، وأهلها كفار ويحق لهم إعمال القتل في الجميع ، ومعلوم أن ارتكاب المسلم ذنباً مخالفاً بذلك نصاً من القرآن أو السنة لا يخرجه من الإسلام وإنما يكون عاصياً مرتكباً لذنب ويحق له التوبة مادام معتقداً صدق النص ومؤمناً به ، لكنهم سلكوا فى ذلك مسلك الخوارج فى عصر الخلفاء الراشدين ونهجوا نهجهم ، ولهذا نرد على هذه الشبهة التى تمسكوا بها سنيناً طويلة ..

الرد عليه :

---

[20] سورة المائدة – آية 44 ، 45 ، 47

[21] صحيح البخارى برقم 25

[22] سورة المائدة – آية 44

جاءت هذه الآية فى سورة المائدة وتكلم فيها علماء المسلمين قديماً وحديثاً .. هل المقصود فى الآية هو الحاكم المسلم الذى لم يحكم بالشريعة الإسلامية كما فهم هؤلاء ؟ .. لكننا لما تتبعنا تفسير أهل العلم لهذه الآية وجدنا خلاف ذلك ...

- فنجد مثلاً حديث صحيح مسلم بأن هذه الآية نزلت فى الكفار الذين غيروا حكم الله فى عقوبة الزنا وكذبوا على رسول الله فى ذلك ، فأنزل الله تلك الآية. [23]
- اجتمع علماء المسلمين على أن هذه الآية نزلت فى الكفار وأن المسلم لا يكفر بارتكاب الكبيرة وفى هذا تفصيل واسع يمكن الرجوع إليه ..
- قال القشيرى : ومذهب الخوارج أن من حكم بغير حكم الله فهو كافر. [24]
- قال الحسن البصرى : هى عامة فى جميع من لم يحكم بما أنزل الله جحودا واستنكاراً مستحلاً ذلك وليس تقصيراً ، فأما إن فعل ذلك جحوداً فهو مرتكب لإثم ، ولم يقل أحد بكفر مرتكب الذنب إلا الخوارج [25]
- قول الشعبى : نزلت فى اليهود حينما أنكروا الحكم استحلالا.
- سئل أبو حنيفة : فيمن نزلت هذه الآية ؟ فقال : فى بنى اسرائيل.
- قول ابن عباس : واحتجت الخوارج بهذه الاية لتكفير مرتكب الذنب ونجيبهم بأنها نزلت فى اليهود
- أخطأ الخوارج فى قولهم بأن مرتكب الكبيرة كافر ، وذلك لأن "من" فى الآية من أسماء الموصول ولم توضع تلك الاسماء فى اللغة للعموم ، بل هى للجنس تحتمل العموم وتحتمل الخصوص ، وعلى هذا يكون المعنى المراد : أما من لم

---

[23] صحيح مسلم برقم 1700

[24] تفسير القرطبى – تفسير الآية " ومن لم يحكم بما أنزل الله " – سورة المائدة

[25] تفسير ابن كثير للآية

يحكم بأى شىء مما أنزل الله أصلاً اى ترك أحكام الله نهائياً ولم يأخذ بشىء منها وهجر شرعه كله فأولئك هم الكافرون. [26]

- قول رسول الله عليه الصلاة والسلام : " الكف عمن قال : لا إله إلا الله ، لا نكفره بذنب ، ولا نخرجه من الإسلام بعمل .." [27] أى أن من قال الشهادة مسلم حتى لو فعل كل الكبائر مادام لم يجحد شيئاً من أصول الاسلام .

- حديث النبى عليه الصلاة والسلام :" خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وشرارهم الذين تبغضونهم وتدعون عليهم ، فقالوا : افلا ننابذهم على ذلك ؟ (يعنى نخرج عليهم) ،فقال : لا ..ما أقاموا فيكم الصلاة " [28]

وبالتالى ، وبعد كلام أهل العلم فى هذه الآية لا ينبغى أن نطلق أصلا تلك الآية على المسلمين ، فالخطاب موجه لأهل الكفر لكنه لا يخرج مسلماً عن إسلامه

الدليل الثانى :

ومما استدلوا به لتنفيذ أفكارهم الهدامة هو أن الدول الإسلامية لا تحكم بالشريعة، وأن القضاء يحكم بالقانون الفرنسى الوضعى وليس بالشريعة

الرد عليه :

وإذا أردنا أن نفند تلك الشبهة بدايةً لابد أن نعلم أن الدساتير المصرية جميعها تقوم على أن الشريعة هى المصدر الرئيسى للتشريع فلا يجوز مثلا للبرلمان أن يقر قانوناً يخالف الشريعة مثل أن يبيح الزنا ، حينها يكون دور المحكمة الدستورية فتبحث القوانين الصادرة فتلغى هذا القانون بناءً على الدستور وهكذا ، كما أن الشريعة مطبقى فى

[26] تفسير ابن كثير للآية
[27] سنن أبى داود برقم 2532
[28] صحيح مسلم برقم 1855

جميع القوانين المدنية مثل الأحوال الشخصية والزواج والطلاق والبيع والمعاملات وغيرها. [29]

الأمر الثانى أنه بعد الثورة الفرنسية وتغيير نظام الدول والقوانين عالمياً أردات الدولة العثمانية أن تضع قانوناً يضاهى القوانين العالمية ولكن حسب قواعد الشريعة الاسلامية فوضعت مجلة الاحكام العدلية بناءً على المذهب الحنفى تنفيذاً للشريعة الإسلامية ، وقتها فى مصر خاف الخديوى إسماعيل أن يكون أشد التصاقاً للعثمانيين فى وقت كان يريد أن ينفصل عنهم سياسياً ، فأراد أن ينشئ لمصر نظاماً مستقلاً فى إطار الشريعة الاسلامية ، فجمع العلماء من أصحاب المذاهب ومعهم قدرى باشا وزير الحقانية ، ورفاعة الطهطاوى ، وبعد اجتماعهم تبين أن القانون الفرنسى مأخوذ من المذهب المالكى حينما كان سائداً فى بلاد الأندلس والذى وضعه نابليون وسمى (كود نابليون) حيث أصطحب نابليون عند خروجه من مصر كتاباً فى الفقه المالكى اسمه " شرح الدردير على مختصر خليل " وافتبس منه القانون الذى سمى باسمه (وهذا ما ذكره المؤرخ غوستاف لوبون) [30] فتلك القوانين الفرنسية مأخوذة أصلا من الشريعة الإسلامية وليس العكس . فكلف الخديوى اسماعيل الشيخ مخلوف المنياوى – مفتى الصعيد - بمراجعة القانون الفرنسى على المذهب المالكى ، بترجمة من الشيخ رفاعة الطهطاوى ، فأخرجوا 22 مسألة مختلفة بين الشريعة وبين القانون الفرنسى فقط . فكتب فيها الشيخ المنياوى كتابه المقارنات التشريعية بين القوانين الوضعية والتشريع الإسلامى ، فقام قدرى باشا وزير الحقانية (العدل) بكتابة القانون بما استقروا عليه وتم تطبيقه من 1882 إلى 1908 لمدة 25 عاماً .

وفى عام 1936 بدأ عبد الرزاق باشا السنهورى بكتابة الدستور المصرى حتى عام 1948 وأخرج القانون واستشهد فى صياغته بعشرين تشريع عالمى ،أولهم الفقه

[29] كتاب رؤى وأفكار للدكتور على جمعة
[30] كتاب حضارة العرب لـ غوستاف لوبون

الإسلامى ،وعرض على البرلمان للبحث فيه فلم يجدوا فيه ما يخالف الشريعة إلا من اعترض على فكرة تقنين الشريعة وهم الأقل فلم يؤخذ بهذا الرأى حيث أنه لا ينافى الشريعة الإسلامية. [31]

ويقول فى هذا الشأن : " وددت أن لا أموت قبل أن تكون لى قدم فى السعى الى تحقيقهما : فتح باب الإجتهاد فى الشريعة الإسلامية ، حتى تعود شريعة حية يستقى منها الشرق قوانينه " [32]

نستمد مما ذكرناه أن القانون المصرى ليس قانوناً وضعياً كما يدعى البعض ، وإنما أصله من الشريعة الإسلامية ، كل ما حدث أن تم تقنين للشريعة أن وضعها فى قوانين وبنود وجعلها تتوافق مع الزمن المعاصر ومستجداته ، فليست كل آراء العلماء فى الشريعة الإسلامية تتوافق مع عصرنا الحالى خصوصاً بعد قيام الثورة الفرنسية وما حدث من تغيير فى أنظمة الدول عالمياً ، وبالتالى ..فكرة تقنين الشريعة هى وضعها فى قوانين وبنود تصلح لكى تعرض كقانون مثل باقى الدول فى العالم ، وليس فى ذلك ما يتعارض مع الشريعة .

الدليل الثالث :

استدلوا كذلك بأن الدول الإسلامية أبطلت الحدود مما يعنى تعطيل أحكام الله التى جاءت صريحة فى القرآن ، وهذه شبهة اخرى أخطئوا فيها ..

الرد عليه:

وإذا نظرنا فى بلاد المسلمين وجدنا أن ذلك لم يحدث وإنما تم إيقاف بعض الحدود وذلك لانتفاء شروطها فالحدود لها شروط لابد من وجودها كاملة ، وعدم وجود أي

[31] كتاب السنهورى من خلال أوراقه الشخصية لـ نادية السنهورى - ط / دار الشروق
[32] المرجع السابق

منها تصبح غير قابلة للتنفيذ لقول رسول الله :" ادرءوا الحدود بالشبهات " [33] فالحدود لها قواعد لابد من وجودها وإلا تعتبر شبهة لا يجوز إقامة الحد فيها ، ومن تلك الشروط مثلا وجود القاضى المجتهد أى الذى يستطيع أن يفهم النصوص ويستنبط منها الحكم الشرعى ويعتمد رأيه .. وهو غير موجود فى زماننا ، ومن شروطه مثلاً وجود الشاهد العدل وذلك أيضاً منتفٍ فى زماننا ، وبالتالى فلا يجوز أن نقيم حداً بشبهة ، وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوله : " لئن أدرأ الحدود بالشبهات أحب إلىّ من أن أقيمها بالشبهات " [34]

الدليل الرابع :

أن الدول الإسلامية أبطلت الشعائر الدينية

الرد عليه :

وهذا محض كذب فالشعائر مقامة ، والمساجد مفتوحة والصلاة تقام فى بيوت الله ، والأذان يعلن فى الصلوات ، والقضاء مسلم يحكم بالشريعة ، ولم تمنع الزكاة ولا الحج ، والحكام مسلمون وهذه هى الامور التى تخرج الأمة من الإسلام كما فى حديث النبى عليه الصلاة والسلام :" خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وشرارهم الذين تبغضونهم وتدعون عليهم ، فقالوا : افلا ننابذهم على ذلك ؟ (يعنى نخرج عليهم) ،فقال : لا ..ما أقاموا فيكم الصلاة " [35] ، فما دامت الشعائر مقامة فالدولة مسلمة والحاكم مسلم ولا يجوز الخروج عليه مادام يقيم الشعائر وأولها الصلاة .

[33] سنن الترمذى مرفوعاً وموقوفاً برقم 1424
[34] مصنف ابن أبى شيبة برقم 27935
[35] سبق تخريجه

الوهم الثانى : قضية الجهاد

وهو الوهم الثانى الذى استندوا إليه وجعلوه مطية لهم يربقوا به دماء الخلائق وينتقموا لأنفسهم ممن يريدون بأحكامهم على البشر ، بأن ادعوا أن فريضة الجهاد معطلة فى بلاد المسلمين وأن الحكام تخاذلوا عنها وأهمل أهل العلم النصح لهم فى ذلك ، وأن الجهاد هو السبيل الوحيد لعودة صرح الإسلام من جديد ، فقاموا هم – على زعمهم – باقتياد عجلة الجهاد وقتل الآف الأبرياء تحت مسمى الجهاد زوراً وبهتاناً ، واستندوا إلى آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام التى خصت فى أقوام بعينهم والتى نزلت فى الكافرين وفى أوقات معلومة وأسباب مخصوصة فجعلوها فى المسلمين بلا ضابط ولا قيد ولا فهم ولا تمحيص ، الأمر الذى جعل كل إنسان منهم يتخذ أحكاماً على من يشاء من الناس برؤيته الخاصة بدون الرجوع إلى أهل العلم وينفذ أحكاماً بالقتل دون رادع ولا قيد ...

ولما تتبعت ما اتخذوه من أدلة وجدتها كلها مردودة من العلماء على مر الزمان ، ولذلك تعالوا بنا نستعرضها ونرى كيف رد عليها أهل العلم ...

الدليل الأول : استندوا إلى حديث : " بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجُعل رزقى تحت ظل رمحى .." [36]

الرد عليه :

الجهاد فى اللغة أصله المشقة ، فيقال جاهدت جهاداً ، أى بلغت المشقة ، وفى الشرع : جهاد فى الحرب وجهاد فى السلم

فالأول : هو مجاهدة المشركين بشروطه ، والآخر هو جهاد النفس والشيطان. [37]

والحديث الذى بين أيدينا لابد لتوضيحه وتوضيح غيره من أمور الدين أن تقرأ الأدلة جملة واحدة ، وألا يجتزأ النص من موضعه ، فإذا أردنا أن نفصل أمور الجهاد فلابد أن نضع جميع الأدلة المرتبطة بالجهاد جنباً إلى جنب ثم نبدأ استخراج الأحكام المتعلقة بها ، وهذا ما أوقع الخوارج قديماً والجماعات المتطرفة حديثاً فى هذه المعضلات ، أنهم اتخذوا نصاً ثم بنَوا عليه حكماً فانطبق عليهم قول الله عزوجل : " أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ " ..الآية [38]

والناظر فى دعوة النبى صلى الله عليه وسلم وفى رسالة الإسلام عامةً يجد أن الهدف العام من دعوته هو هداية الخلق وليس القضاء عليهم .. فنجد قول الله تعالى : " ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ " [39]، وقوله تعالى : " فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ " [40].. وكل هذا يندرج تحت الأصل العام فى قوله : " لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ" [41]

---

[36] صحيح البخارى برقم 6504
[37] كتاب نقض الفريضة الغائبة للشيخ جاد الحق على جاد الحق
[38] سورة البقرة – آية 85
[39] سورة النحل – آية 125
[40] سورة آل عمران – آية 20
[41] سورة البقرة – آية 256

فهذا هو أصل الإسلام وأساس الرسالة التى بعث بها رسول الله أنه لا يدخل أحد فى دين الله مكرهاً ولا يعبد أحدٌ اللهَ مغصباً ولا مكروها لأن أصل الإسلام هو الإيمان بالقلب والتصديق الكامل وإلا كان الإنسان منافقاً ..!

وحينما نجد حديثاً لرسول الله عليه الصلاة والسلام يقول فيه : " بعثت بالسيف بين يدى الساعة ، وجُعل رزقى تحت ظل رمحى " [42]، فلابد من وضع هذا الحديث تحت ذلك الأصل العام الذى ذكره الله ، ثم نبدأ فى استخراج مدلول هذا النص بعد ذلك ..

فالواقع أن حديث النبى يُقصد به أنه جاء بدعوة إلهية وأباح الله له استخدام السلام لحمايتها إن اعترضها معترض أو مُنع أحد من الدخول فيها بالقوة ، وأجاز له استخدام السلاح فى حالة الاعتداء عليه من المعتدين أياً كانوا ، ففى هذه الحالة عليه أن يقوم بصد تلك الإعتداءات حماية لدينه ودعوته وجميع الخلق الذين تبعوه ، وهذا ما تجده فى سيرة رسول الله أنه لم يذهب معتدياً على أحد من الناس كى يجبرهم على الإسلام وإنما كان يصد اعتداءً أو يقوم بعمل عسكرى لحماية دولته التى أقامها والتى هو مسئول على رعيتها ، فحينما يعلم أن أقواماً يعدون العدة كى يغيروا عليه فمن المنطق العسكرى البحت أن يخرج إليهم قبل أن يحاصروه فى بلده لكنه لم يذهب من تلقاء نفسه يعتدى ليفرض عليهم ديناً جديداً ..

وأما قوله : " وجُعل رزقى تحت ظل رمحى " هو إشارة إلى أن الله أباح له التكسب من موارد الدولة التى هو على رأسها ، وموارد تلك الدولة هى الغنائم من الحروب التى كانت موجودة فى هذا العصر ، وذلك بتناسب مع قول الله تعالى : " وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ " الآية [43] ، وهذا ما فهمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن أبا بكر الصديق لما تولى أمر الناس وأصبح خليفة للمسلمين ذهب إلى السوق كى يمارس عمله فى التجارة فيتكسب منها وينفق على نفسه وأهل بيته ،

---

[42] سبق تخريجه

[43] سورة الأنفال – آية 41

فقابله عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال له : ماذا تصنع فى السوق ؟ ، فقال : أعمل لرزقى ورزق عيالى ، فقال له : قد كفاك الله ذلك فقد قال الله تعالى : " فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ " وعليه أصبح لولى الأمر راتباً من خزانة الدولة كى يستطيع أن يتفرغ لإدارة شئون الدولة وأحوال العباد ، وبالتالى فلا يستدل بهذا الحديث بحتمية القتال فى كل زمان لنشر الدعوة وإلا كان مناقضاً للقرآن الكريم .

الدليل الثانى : حديث النبى عليه الصلاة والسلام : " قد جئتكم بالذبح " [44]

واستدلوا بهذا الحديث حيث زعموا أن كلامه صلى الله عليه وسلم بأنه جاء بالذبح أن الذبح والقتال مقصود فى حد ذاته وهدفاً يسعون لتنفيذه ..

الرد عليه :

اتخذت الفرق والتيارات المتطرفة هذا الحديث وعثوا فى الأرض يذبحون الناس بعدوى كلام رسول الله وهو منهم براء ، فهذه الكلمة قالها رسول الله فى موقف حدث له فى مكة وأصل الحديث : " استمعوا يا معشر قريش ، أما والذى نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح " فالحديث هنا موجه لمعشر قريش لحادثة حدثت معهم ، وقد رواها عبد الله بن عمرو بن العاص وقد سئل : ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يظهرون من عداوته ؟ فقال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً فى الحجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما رأينا مثل صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط .. سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، فينما هم كذلك إذ مر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر بهم الثانية

[44] صحيح ابن حبان برقم 6567

فغمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مر بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلها ، فوقف . ثم قال صلى الله عليه وسلم: " أتسمعون يا معشر قريش أما والذى نفسى بيده لقدجئتكم بالذبح .."

وفى هذه القصة نرى ما حدث لرسول الله والذى جعله يقول لهم هذه الكلمات ، ولو اتخذنا نفس المنهجية فى استنباط المعنى كما فعلنا فى الدليل السابق بأن نضع النصوص كلها معاً ثم نستخرج الحكم ، نرى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان رحمةً مهداة حريص على هداية الخلق لا قتلهم وإبادتهم والدليل الواضح على ذلك ما حدث فى فتح مكة لما قدر وتغلب عليهم عفا عنهم ، وكان يستطيع أن يقتلهم بما فعلوه معه قديماً ولكنه عفا عنهم وقال : " اذهبوا فأنتم الطلقاء " [45] ، فالأصل العام هو الرحمة والدعوة بالموعظة الحسنة ، وأما هذا الحديث الذى نحن بصدده لو وضعناه تحت هذا الأصل لفهمنا منه أمرين :

الأول : أن المقصود المعنى المجازى أى مجرد التهديد حتى ينتهوا عما يفعلوه من غمز ولمز وشتم مع الجناب النبوى العظيم الذى يقتضى أن يدعوا عليهم فيهلكهم ، ولو أراد لفعل ولاستجاب الله له ، ولكنه آثر مجرد التهديد فقط حتى ينتهوا عن ذلك ، وإلا فلماذا عفا عنهم يوم دخل مكة ؟ ولماذا لم يدعوا الله تعالى بهلاكهم كما فعل غيره من الأنبياء بدلاً من أن يقول : " لقد جئتكم بالذبح ؟ " .

الثانى : هو ان المقصود بالذبح هو المعنى اللغوى له ، فالنبى صلوات الله وسلامه عليه فى موقف يتهكمون عليه وينتقصون منه صلى الله عليه وسلم ، فالموقف فى هذا يقتضى الأدب وحسن الخلق والانضباط التام فى مخاطبة الجناب النبوى ، ولذلك ينبغى أن يطهروا من سوء أخلاقهم ، فقال له حينها :" لقد جئتكم بالذبح " أى بما يطهر أخلاقكم ويهذب نفوسكم وذلك لأن الذبح فى اللغة هو التطهير والإحلال أى لجعل الحرام حلالاً فقال النبى صلى الله عليه وسلم مثلاً : " كل شىء فى البحر مذبوح " أى

[45] رواه ابن اسحاق فى سيرة ابن هشام (2 / 412)

طاهر ، ولقول أبى الدرداء رضى الله عنه : " ذبح الخمرَ النينانُ والشمس " [46] ، أى أن النينان وهو السمك مع الشمس لو وضعوا فى الخمر يجعلها خلاً حلال ..

وعلى هذا ومن مجموع الأدلة لا يقتضى أبداً أن يحمل الحديث : " لقد جئتكم بالذبح " على أنه القتل بل التطهير لأخلاقكم بدلاً من أن تؤذوا رسول الله فينزل عليكم الهلاك الربانى .

الدليل الثالث :

قول الله تعالى : " فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" . [47]

وقالوا إن هذه الآية ناسخة لمائة وأربع عشرة آية فى ثمان وأربعين سورة فهى ناسخة لكل آية فى القرآن تتحدث عن الصبر عن أذى الأعداء وعدم إكراهه فى الدخول فى الدين [48] وبذلك تكون الآية أمراً بالقتال للمشركين وأهل الكتاب الذين لم يدخلوا الإسلام بعد .

الرد عليه :

والرد على هذا الدليل هو أن الآية وردت فى مشركى العرب وهذا واضح من السياق العام للآية الذين خالفوا العهود والمواثيق وبدأوا هم بالاعتداء والقتال ، حيث قال فى آية أخرى : " أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ

[46] صحيح البخارى – كتاب الذبائح – باب قول الله تعالى :" أحل لكم صيد البحر" – معلقاً
[47] سورة التوبة – آية 5
[48] كتاب الفريضة الغائبة – محمد عبد السلام فرج

أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ " [49] أى أنهم هم أصحاب البداية فى الاعتداء وليس المسلمين وبالتالى وجب قتالهم كما حدث مثلا فى حرب السادس من أكتوبر عام 1973 وكانت رداً على الإعتداء واحتلال الأراضى المصرية المسلمة ، وبالتالى وجب قيام الحرب وإعلان القتال وبهذا تكون حرب السادس من اكتوبر فى مصر هى نموذجاً للجهاد المشروع فى سبيل الله لا يشوبه شائبة لأنه رد لاعتداء وكان قتالاً بين جيشين نظاميين وليس قتلا لأفراد عزل...

أما عن أهل الكتاب فقد فرق الله بينهم وبين المشركين فى المعاملة فيقول الله تعالى : " لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ " [50] .... فالأصل مع أهل الكتاب هو البر وحسن المعاملة ، وقال صلى الله عليه وسلم فى من عاش مع المسلمين لا يؤذيهم ولا يعاديهم : " من آذى معاهداً لم يرح رائحة الجنة " [51] ونحن فى الأنظمة الجديدة للدول نعيش مع أهل الكتاب فى بلد واحد يجمعنا وطن واحد أن أننا عاهدنا بعضنا ألا يؤذى بعضنا الآخر ، ومن نقض هذا العهد فالنبى صلى الله عليه وسلم منه برئ يوم القيامة كما جاء فى الحديث .

الدليل الرابع : حديث النبى صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداُ رسول الله " [52] فلابد من القتال حتى يدخل جميع الناس فى دين الله .

الرد عليه :

[49] سورة التوبة – آية 13
[50] سورة الممتحنة – آية 8
[51] صحيح البخارى برقم 6516
[52] صحيح البخارى برقم 1399

هذا الحديث صحيح ورد فى صحيح البخارى ، وإذا طبقنا عليه المنهج العلمى فى الاستدلال بأن نضع النصوص معاً لاستخراج الحكم الصحيح لوجدنا أن الله تعالى قال : " لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ" [53] فالأصل العام أننا لا نجبر أحداً على الدخول فى الإسلام ، فلماذا أمر الله نبيه أن يقاتل الناس لذلك ؟

والجواب فى هذا أن المقصود بكلمة (الناس) فى الحديث ليس جميع البشر ، وإنما طائفة مخصوصة من الناس وهى التى كانت تعادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة وما حولها ، وهذا يسمى فى الأصول (العام والخاص) ، فأحيانا تطلق الكلمة ويراد بها الجميع وأحيانا تطلق ويراد بها فئة مخصوصة معلومة فى موقف معين .

وهذا معلوم فى القرآن حيث قال الله تعالى عن المؤمنين فى غزوة بدر:" ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ"[54] فالمقصود بكلمة (الناس) فى الآية هم ابو سفيان ومن معه من المشركين وليس جميع من على الأرض من الناس.

إذن فالمقصود من الآية هم المشركون المحاربون من غير أهل الكتاب كما قال ذلك ابن حجر فى فتح البارى [55]

كما أن كلمة أقاتل تختلف تماماً عن (أقتل) فالقتال معناه مواجهة الجيوش وليس قتل الأنفس مفردة لا نعلم القاتل لِمَ قَتل ، ولا المقتول فيما قُتل !

ومما يؤكد على هذا الفهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام فى مكة ثلاث عشرة سنة ومعه المسلمون لاقوا فيها ألوان العذاب من قريش فلم يعتدوا على أحد ولم يقوموا بقتل أفراد الناس ، وإنما لما ذهب المدينة شرع الله له القتال أى مواجهة الجيش لجيش

[53] سورة البقرة – آية 256
[54] سورة آل عمران – آية 173
[55] نقض الفريضة الغائبة للشيخ جاد الحق على جاد الحق

مثله بشرط ألا نعتدى أو نبدأ القتال ، وإنما شرع القتال فى حالة اعتداء المشركون على المسلمين .

ولو أننا لو دققنا النظر فى كلمة "حتى " ماذا نفهم منها ؟ هل المراد منها أننا نقاتل الناس إلى أن يشهدوا ؟ أم معناها أننا نقاتل الناس لكى يشهدوا ؟ ..

والفارق بينهم كبير .. فالمعنى فى الحديث أن نقاتل الناس إلى أن يشهدوا أى نقاتل من يمنعنا حقنا فى عبادة الله وإقامة شريعته ..

وأما إذا كان المعنى أن نقاتل الناس لكى يشهدوا ، فالمعنى فى ذلك هو أن الإسلام لابد لكى ينتشر بين الناس ليس لنا طريق إلا القتال ، فنحن نقاتل أى أحد حتى يسلم ، وبالتالى لن نترك أحداً على غير الإسلام وإلا قتلناه ، وهذا معنى مختل لفهم الحديث ، وحصل هذا الخلل فى الفهم بسبب عدم إدراكهم لمقصود الألفاظ ودلالات المعانى ، وعد ربطهم لمواقف النبى صلى الله عليه وسلم فى مكة وفى المدينة .

وبالتالى .. نخلص فى هذا الباب إلى أن كل ما زعموه من أدلة جعلتهم يرفعون السلاح على إخوانهم من المسلمين أو غير المسلمين المسالمين .. كل هذه الأدلة مردود عليها ، وناتجة من عدم فهمهم لقواعد اللغة أو لعدم إدراكهم لأسباب النزول ومواقف الأحاديث.

الوهم الثالث : قضية التمكين

وتلك هى القضية الثالثة التى استند إليها الكثير من الجماعات المتطرفة لكى يبرروا لأنفسهم القتل والإعتداء ومحاولة السيطرة على الحكم بأى ثمن وهى قضية التمكين..

والتمكين أن يتمكن النظام الإسلامى (والمتمثل فى الجماعات وليس الدولة) من إقامة سلطة سياسية تحكم البلاد وتطبق فيها شعائر الله وعقائد الإسلام ، ومادامو يرون أنهم هم المسلمون وغيرهم من الكافرين فإقامة السلطة السياسية الحاكمة لابد وأن

تحدث على أيديهم ، وبالتالى استنتجوا من ذلك بأنهم مطالبون من الله تعالى بالوصول إلى الحكم والسيطرة على مقاليد البلاد ، وإلا كان المجتمع كافراً والحكام كافرون .

واستدلوا ببعض الشواهد من القرآن والسنة وكالعادة بلا تأصيل فقهى صحيح وبلا استدلال منظبط للآيات والأحاديث ، ومن هنا نذكر تلك الشواهد ومدى الخطأ الذى وقعوا فيه والرد عليه ، وهذه الأدلة هى :

أولاً : التمكين أمر من الله لعباده المسلمين وذلك لقوله تعالى :" وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ" [56]

ثانياً : قوله تعالى : " ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ " [57]

ثالثاً : الحديث المروى عن حذيفة: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : (تكون النُّبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوَّة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون مُلْكًا عاضًّا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون مُلْكًا جَبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكَت " [58] وعلى هذا يسعون دائما لتحصيل هذه الخلافة .

رابعاً: قول الله تعالى : " قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ" [59] ، وبالتالى طلب نبى الله يوسف الإمارة حتى يُمكن له فى الأرض.

---

[56] سورة النور – آية 55
[57] سورة الحج – آية 41
[58] مسند الإمام أحمد 18406
[59] سورة يوسف – آية 55

خامساً : علينا كمجتمع مسلم أن نربى الاجيال القادمة على العقيدة الصحيحة والإيمان الصحيح كى يخرج جيل من المسلمين يستخلفهم الله ويمكنهم من هذه البلاد.

وكان علينا كما هو الواجب أن نجمع الأدلة فى سياق واحد ونتقن فى تركيبها وتحديد مدلولات الألفاظ ومطابقة المعانى بها على مقاصد الشريعة المعروفة وهذا هو المنهج العلمى فى استنباط الأحكام من الأدلة المختلفة .

وإذا دققنا النظر فى الأدلة لوجدنا :

- التمكين هو صناعة إلهية وليس أمر إلهى ، أى أن الله هو الذى يمكن عباده ولم يطلب منهم السعى لتمكين أنفسهم ، أمرنا بالتجهيز ولم يأمرنا بتحقيق النصر ، والدليل على ذلك أن آيات التمكين كلها جاءت بصيغة الفعل الإلهى كقوله : " إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ " [60]

وقوله" وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ"[61]

وقوله :" ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ " [62]

وقوله تعالى :" وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ" [63].

---

[60] سورة الكهف – آية 84
[61] سورة الأعراف – آية 10
[62] سورة الحج – آية 41

وقوله تعالى : " أَوَ لَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ" [64]

وقوله تعالى : " أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ"[65]

وقوله تعالى : " وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ" [66]

وقوله تعالى : " وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۖ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ" [67]

وقوله تعالى : " إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا" [68]

وقوله تعالى : " قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا" [69]

وقوله تعالى : " وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ" [70]

---

[63] سورة القصص – آية 5،6
[64] سورة القصص – آية 57
[65] سورة الأنعام – آية 6
[66] سورة يوسف – آية 21
[67] سورة يوسف – آية 56
[68] سورة الكهف – آية 84
[69] سورة الكهف – آية 95
[70] سورة النور – آية 55

وقوله تعالى : " وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ" [71]

تلك هى جميع الآيات التى جاءت فيها كلمة " التمكين " فى القرآن الكريم ، وكلها جاءت منسوبة إلى الله تعالى ولم تأتِ مرة واحدة منسوبةً إلى البشر ، فالله تعالى هو صاحب الحق فى التمكين يمد به من يشاء من عباده إن قاموا بشروط معينة ، لكنه لم يأمرنا نحن بصناعة التمكين أو الوصول إليه ..[72]

- التمكين لا يأتى بالقوة أو بتكفير الحكام أو باستخدام السلاح والقتل ، وإنما له باب دلنا عليه القرآن الكريم وهو باب العلم والمعرفة ، فالعلم هو السبيل الوحيد الذى يستطيع المرء من خلاله والأمة كلها أن تنهض ويمكن لها فى الأرض ، ***والدليل على ذلك*** :

- قصة يوسف عليه السلام بات جلياً واضحاً لمن يقرأ ويفهم أنه حصل العلوم وجمع المعارف التى مكنته من ولاية أمر مصر ، فالطريق الوحيد هو العلم ، وهذا واضحاً فى سورة يوسف فى قوله تعالى : " وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ "[73] ..

ثم قوله تعالى:" وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ"[74]

.

---

[71] سورة الأحقاف – آية 26

[72] الحق المبين فى الرد على من تلاعب بالدين للدكتور أسامة الأزهرى – بتصرف

[73] سورة يوسف – آية 6

[74] سورة يوسف – آية 21

ثم قوله : " وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ " [75]وقوله : " ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ " [76]...

فلما حصل كل هذه العلوم وأصبح فى المجتمع عالماً ببواطن الأمور يستطيع أن يحل المعضلات الإقتصادية فى البلاد استدعوه وطلبوه للإمارة ومكنوه من حكم البلاد فى قوله تعالى : "قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ "[77] ، فلم يقبل الإمارة كما يدعى أصحاب هذه الإفكار وإنما طلب جزءا صغيرا من الولاية وهى الجانب الإقتصادى فى البلاد فقط ، فقال : " قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ "[78] ..

ثم يؤكد الله مرة أخرى بعد أن ذكر طلب يوسف للإمارة أن الله هو الذى رزقه التمكين بقوله : " وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ" [79]..

ثم فى النهاية يقول : "رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ" [80] أى أن كل ما أنا فيه من الملك والتمكين بما أعطاه الله من علم وخبرة ودراية وتجارب عديدة استقاها فى بيت النبوة فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم (يوسف بن اسحاق بن يعقوب بن ابراهيم) ، والخبرات التى استقاها فى بيت الملك الذى رُبى فيه صغيراً ... كل ذلك جعله عالماً اقتصادياً فاذاً يستطيع أن ينقذ البلاد من الغرق المالى ، فلما كان هذا دعوه وأراد الله له التمكين حيث مكنه من حكم مصر ..

---

[75] سورة يوسف – آية 22
[76] سورة يوسف – آية 37
[77] سورة يوسف – آية 54
[78] سورة يوسف – آية 55
[79] سورة يوسف – آية 56
[80] سورة يوسف – آية 101

وبالتالى فإن طريق التمكين هو العلم والمعرفة ، واتساع البحث حتى يصل الإنسان إلى مكانة تجعل من حوله يرجعون إليه بل ويتنازلون له عن حقهم فى اتخاذ القرار ..

- قصة ذى القرنين والتى أورد الله فيها ذكر التمكين ، ذكر فيها ذلك الطريق إلى التمكين وهو العلم والخبرة ، وذلك فى قوله " إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا " [81] وهو العلم لقوله تعالى : " ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا " [82] فهو عالم بتلك الوصف الكيميائى المعقد الذى لا يستطع أحد أن يهدمه ولذلك استدعوه لما عنده من العلم والخبرة وفتحوا له باب الملك والتمكين واتخاذ القرار ...

- لا يجوز طلب الحكم أو الولاية والإمارة ، وذلك أمر نبوى صريح فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها " [83].. وفى هذا الحديث يعتقد أصحاب الأوهام من الجماعات المتطرفة أنه لا يسرى هذا الحكم مادام المجتمع جاهلياً لا يحكم بشرع الله ، وقد بينَا أن المجتمعات الحالية هى مجتمعات مؤمنة مادامت يقام فيها الصلاة وبينا أيضاً أن القوانين المنفذة فى بلادنا هى من صلب الشرع الإسلامى والحمد لله ، غير أن هذا التفسير أيضاً تفسير فيه خلط وتحميل للمعنى ما لم يحتمل وضرب لسياق الأدلة بلا داعى ..

---

[81] سورة الكهف – آية 84
[82] سورة الكهف – آية 96
[83] صحيح البخارى برقم 6727

أما عن قوله تعالى فى قصة يوسف عليه السلام : " قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ" [84].. كما وضحنا سابقاً أن الذى دعاه إلى ذلك أنهم هم الذين طلبوه لما لمسوه منه من خبرة ودراية وعلم واسع وفهم عميق لما هم فيه من أزمات اقتصادية شديدة ، فلما دَعوه وناقشوه فى قوله : " وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ " [85] أى ناقشه وحاوره ورأى ما عنده من العلم والخبرة ، مكنوه من أعلى المناصب فى البلاد لقوله :" قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ" فرفض يوسف عليه السلام واختار ما هو أقل من ذلك ، وهو ما يتعلق بالإقتصاد لما له من دراية به فقط ، فقال : " قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِ " أى مكنى من اقتصاد البلاد فقط فأنا لا أريد ما هو أعلى من ذلك فهذا هو ما أتميز به وأستطيع إنقاذ البلاد من خلاله.

وعلى هذا يكون يوسف عليه السلام :

- دُعى إلى الإمارة ولم يطلبها ..
- لما جاءته الإمارة اختار ما هو أقل منها وهو ما يستطيع أن يفيد به البلاد

وبالتالى فإن يوسف عليه السلام لم يطلب الإمارة وهذا يفك الإشكال والتعارض و يتماشى مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تطلب الإمارة ، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها "[86] ويوسف عليه السلام لما يطلبها فأعانه الله تعالى عليها واستطاع أن يحل تلك المعضلة الإقتصادية فى البلاد .. فلا تعارض بذلك بين الأدلة من آيات وأحاديث ولا تحميل للمعنى بغير ما يحتمل كما فعل أصحاب هذه الأوهام.

وفى النهاية نقول أن التمكين بيد الله يؤتيه من يشاء فهو صنع ربانى وليس أمراً للناس يَسْعون لتنفيذه ، والسبيل إلى ذلك هو العلم والمعرفة والترقى فى مجالات العلوم حتى

---

[84] سورة يوسف – آية 55
[85] سورة يوسف – آية 54
[86] سبق تخريجه

إذا رأى الناس منا قوة علمية دعونا إلى التمكين والولاية ، لكننا لا نطلبه ولا نسعى إليه لا بالطلب ولا بحمل السلاح وقتل البشر والسيطرة بالقوة من حكم البلاد ، فالأمر كله بيد الله إذا رأى من الناس جهداً وعلماً وبصيرة وصبراً أعطاهم وفتح لهم أبواب التمكين فى كل مكان ، فقد قال الله تعالى : " وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ " [87] ، وقوله تعالى : "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِأَيَٰتِنَا يُوقِنُونَ " [88].

[87] سورة القصص – آية 5،6

[88] سورة السجدة – آية 24

الوهم الرابع: دار الكفر ودار الاسلام

وهى من أهم القضايا التى استعانوا بها لتبرير أفعالهم الدنيئة ، ومن أعظمها خطئاً ، ومن أشدها خطورة على أمن البلاد وسلامة الناس ، حيث اختلط عليهم الفهم والتصور الصحيح فى فهم المعنى الصحيح للمصطلح الذى أورده الفقهاء قديماً وهو (دار الكفر ودار الإسلام) ... و زعموا أن كل أرض لا يحكم فيها بشرع الله فهى أرض كفر يقاتل أهلها بلا حدود ، ولم يلتفتوا إلى قيمة الشهادتين فى إسلام المرء ، فزعموا أن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ليست كافيه لدخول المرء فى الإسلام مادام يعيش فى أرض لا تحكم بشريعة الله ، وبذلك أصبح عندهم جل المسلمين كفاراً تستحل دماؤهم وأعراضهم وأموالهم ، فقد غفلوا عن الحكمة التى قسم لها الفقهاء الديار إلى دار كفر ودار إيمان ، واختلط عليهم الفارق بين دار الإسلام ودار الكفر ودار الحرب ، فجعلوا الديار دار حرب ودار إسلام ، إلى غير ذلك من المفاهيم المغلوطة التى اكتسبوها من فهمهم الضيق لكتاب الله ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى جاء باجتهاد شخصى وليس عن دراية وتمحيص وتدقيق ورجوع لكلام العلماء الثقات العارفين بقواعد الإستدلال ومناطه ، والآت وأدوات العلم الشرعى الصحيحة .

وفيما يلى نشير إلى أقوالهم والمفاهيم الخاطئة التى استندوا إليها من كتب الفقه القديمة وبيان الخطأ الذى وقعوا فيه من الاستدلال :

- دار الإسلام هى الدار التى يحكم فيها بشريعة الله و دار الكفر هى الدار كل بلد لا تحكم بشرع الله ولا تطبق شريعته حتى لو كانوا يشهدون الشهادتين ويصلون ويصومون ويؤدون الشعائر .

- دار الكفر هى ديار الإسلام ولكن بعد أن اعتدى عليها بالتكفير (أى أنها لا تحكم بشرع الله)
- دار الكفر التى لا تحكم الشريعة تستحق أن تراق فيها الدماء ، وتكون حلالاً لهم الأموال والغنائم أياً كان صاحبها وليس من حقهم الاستناد إلى ما فى الشريعة من رحمة لأنهم ليسوا مطبقين للشريعة أصلا .[89]
- نُقل عن ابن تيمية أنه قال : " ودار الإسلام يعامل فيها المسلم بما يستحقه ويقاتل فيها الكافر بما يستحقه " واستندوا إلى ذلك بإباحة قتل كل من يروه كافراً – فى نظرهم – فاستباحوا القتل والسرقة بلا حد أو قيد .

الرد على الشبهات :

بدايةً لابد أن نعرف أن تقسيم البلاد إلى بلاد كفر وإيمان لم يرد فيه نص فى القرآن أو السنة ، فلم نجد آية أو حديثاً يقسم البلاد إلى دار كفر ودار إسلام ، وإنما الحكم على ذلك أمر اجتهادى من الفقهاء من واقع الأمر فى زمانهم [90]

أما عن دار الاسلام ودار الكفر ، فقد قسم الفقهاء قديماً هذا التقسيم لبيان الأحكام الشرعية المتعلقة بالمسلم الذى يعيش فى دار الإسلام أو فى دار الكفر ، فقد مر الإسلام بأكثر من مرحلة عاش فيها المسلمون أوقاتاً فى اضطهاد مستمر وفى أحيان أخرى فى دولة متكاملة يحكم فيها بشرع الله ، وأزمنة أخرى كان بينهم وبين الكفار معاهدات ملزمة للطرفين بأمور معينة استلزمت أحكاماً مختلفة وهكذا ، ولبيان تلك الأحكام اضطر الفقهاء لذلك التقسيم حتى يعرف المسلم ما له وما عليه إن عاش فى بلد لا تحكم بالشريعة أو عاش فى بلد مسلم يشهد أهله أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ،

[89] من كتاب الفريضة الغائبة لمحمد عبد السلام فرج – بتصرف
[90] نظرية الحرب فى الإسلام للإمام محمد أبو زهرة

وينادى فيه بالصلاة وتقام فيه شعائر الإسلام المختلفة ، وليس ليقوم المسلم فى دار الكفر بالاعتداء على أهله وقتل الناس واستحلال الدماء والأموال والأعراض إلى غير ذلك من المناهج التى يعتنقها أصحاب ذلك الفكر المنحرف .

واستقر الفقهاء قديماً وحديثاً على تعريف دار الإسلام وهى التى تحكم بشرع الله ويسودها الإسلام وتقام فيها الشعائر المختلفة من صلاة وصيام وزكاة وتقام فيها الجمعة والأعياد وتقام فيها الحدود وغيره ، ويسمح لأهلها ممارسة شعائر الإسلام بلا خوف على أنفسهم من فتنة فى الدين ويكون لهم الأمن التام فى ذلك ، ويوجد فيها سلطة قائمة منصوبة يفزع إليها الناس عند التخاصم والتقاضى ، ولا ينقص من وصفها دار إسلام وجودُ الكافرين أو أهل الكتاب فيها وهم بأمان مع المسلمين فلا يشترط أن تكون كلها مسلمين أو ملاصقة لدول مسلمة إذ من الممكن أن تكون ملاصقة لدول غير مسلمة لكن تكون ذات منعة . [91]

وأما دار الكفر وسماها العلماء (دار النشر أو الدعوة) وهى كل ديار الأرض بخلاف ديار المسلمين وهى التى يعيش فيها المسلم مادام آمناً على دينه ونفسه لا يحاربه أحد لأجل دينه فهى ديار آمنة لكن تسميتها ديار الكفر معناه أنها لا تقيم شعائر الله وليست من أصول الدولة ، لكن هذا لا ينفى أن نعيش فيها مسالمين لغيرنا ، فالمسلم من سلم الناس من لسانه ويده .

- وأما دار الحرب فهى الديار المعادية للمسلمين التى تعلن الحرب عليهم فهى حينئذ دار محاربة للمسلمين وتوجه إليها الأعمال الدفاعية ولا نقوم نحن المسلمين بالاعتداء إلا إذا اعتدوا ، وهذا ما حدث مثلاً عند احتلال البلاد المصرية من الإنجليز قديماً ومن العدو الصهيونى فى حرب 1967 فكان لزاماً على أهل البلاد أن

[91] نظرية الحرب فى الإسلام وأثرها فى القانون الدولى العام للدكتور ضو مفتاح

يقاوموا هذا العدو ويخرجوه من أرضنا... أما الأصل فيظل هو الدعوة بالحكمة كما كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- قولهم أن ديار الكفر هى ديار إسلام تم الإعتداء عليها فأصبحت ديار كفر هذا قول خاطئ ، فهم احتكموا إلى أن الدار التى لا تحكم بشريعة الله خرجت من الإسلام حتى ولو نطق أهلها بالشهادتين ، وأقاموا الشعائر وكانوا فى أمان من دينهم ، فهم بكل ذلك كفاراً ..

وهذا فهم خاطئ شديد الخطورة فكل الآيات والأحاديث فى هذا الشأن تنص على خلاف ذلك وهنا نتناول أمرين :

ألامر الأول : هل بلاد المسلمين اليوم لا تحكم بشريعة الله ؟ والإجابة على ذلك ذكرناها فى باب الجهاد ، وهو أن بلاد المسلمين اليوم تحكم الشريعة فى كل شىء وأن القانون المصرى الذى تسير عليه مصر إنما هو أصلا من الفقه المالكى كما ذكر وإن كان هناك بعض الأمور التى لا يحكم فيها بالشريعة كحد القتل والسرقة فذلك لعدم وجود أركان الحد المتفق عليه فى الفقه الإسلامى وفى الحديث : " ادرءوا الحدود بالشبهات " [92] أن إذا وجدتم شبهة واحدة فقوموا بإلغاء الحد تماماً وهذا ما حدث مع عمر بن الخطاب حينما ألغى حد السرقة فى عام المجاعة.. أما باقى أحكام الشرع فهى مطبقة من الفقه المالكى وقد ذكرنا ذلك بتفصيل فيما سبق .

الأمر الثانى : هل إذا كان هناك بلد لا تحكم بالشريعة وأهلها يشهدون الشهادتين ويقيمون الشعائر وينادى فيها بالصلاة والأعياد .. هل يخرج أهلها من الإسلام لمجرد أنهم لا يطبقون أحكام الشرع ؟

[92] سبق تخريجه

والأجابة على ذلك أن الإسلام يدخله الإنسان بمجرد قوله " لا إله إلا الله ، محمداً رسول الله " وإن فعل ذلك حتى ولو كان منافقاً فلا يجوز قتله أو الإعتداء عليه ، وبالتالى فلا يجوز الإعتداء على أهل بلد يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وينطقون الشهادتين ويأخذون بأحكام الشريعة وفى ذلك جملة من الأدلة من الآيات والأحاديث :

- حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم منادياً فلا تقتلوا أحداً " [93]

- أن النبى صلى الله عليه وسلم عاش مع أقوام بالمدينة المنورة فى عز قوة الإسلام وفى وجود النبى حاكماً عليها وعلم أنهم لا يؤمنون بالله ولكنهم يظهرون الإسلام فقط من أجل مصلحة خفية ومع ذلك لم يقاتلهم ولم يعتدى عليهم بل عاش معهم وسالمهم مثلما فعل مع رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول ، إلا إذا خرجوا على النظام العام للدولة وقتها مثلما فعل يهود بنى قريظة حينما خلفوا العهد .

- حديث أسامة بن زيد حينما أرسله النبى عليه الصلاة والسلام فى سرية فأمسك برجل من الكفار فلما هَم بقتله قال الرجل : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ... فقتله أسامة ، فلما رجع إلى رسول الله وحكى له ، قال له : " أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله ؟ **!!!** ، فقال : يا رسول الله إنما كان متعوذاً (يعنى يقولها حتى ينجو بنفسه) .. فقال صلى الله عليه وسلم : " أفلا شققت عن قلبه لتعلم هل قالها أم لا " ، قال أسامة : فظل يكررها حتى تمنيت أن لم أكن أسلمت قبل اليوم". [94]

---

[93] مسند الإمام أحمد برقم 15401

[94] صحيح البخارى برقم 4021

- حديث : "من خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه " [95]

- وصايا رسول الله للجيوش حينما كانوا يخرجون للقاء العدو : انطلقوا باسم الله لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة ولا تغلوا " ووصايا أبى بكر الصديق لما قال لهم : " لا تقتلوا شيخاً. لا تقتلوا طفلاً. لا تقتلوا امرأة. ستجدون رهباناً تفرغوا للعبادة في الصوامع، فلا تقربوهم ، لا تحرقوا زرعاً. لا تقطعوا نخلاً. لا تهدموا بيتاً. لا تهدموا معبداً. لا تغيروا عليهم ليلاً كي لا تروعوا النساء والأطفال " ، ومعلوم أن كل هؤلاء ليسوا على دين الإسلام أصلا وأمرهم ألا يقتلوهم فكيف بالمسلمين ؟ !!

- حديث : " من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة " [96] ومعلوم أن المعاهد رجل على غير ملة الإسلام أصلا ومع ذلك لأنه يعيش فى أمان المسلمين حرم الله دمه مادام مسالماً فكيف بمن نطق الشهادتين وأقام الشعائر ؟

إلى غير ذلك من الأحاديث ...

ونحن نسألهم الآن : كيف كان إسلام صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت أن كانوا فى مكة وليس لهم أحكام نزلت أصلا من الله؟ هل انتقض إسلامهم حتى تتنزل الأحكام الشرعية من السماء ؟ أم كيف يكون إسلام رجل عاش فى بلاد غير مسلمة هل يصبح كافراً وهو يؤدى صلاته ويقيم شعائره ؟ إنهم بذلك أخرجوا كل الخلق من الإسلام !!

أما عن قول ابن تيمية فى فتوى أهل ماردين والتى كان يفتى بها فى بلدة " ماردين " والتى كانت فى حرب مع التتار وقتها وكانت جميع الفتاوى تتعلق بما وقع من التتار

[95] صحيح مسلم برقم 1848
[96] سبق تخريجه

كمحاربين وجاء السؤال لابن تيمية لمعرفة حال أهل هذا البلد، وهل يصح وصفهم بالنفاق، وهل تجب عليهم الهجرة، وإذا وجبت عليهم ولم يهاجروا فما حكمهم، وهل تعتبر دارهم دار إسلام؟

فأجاب ابن تيمية بعد أن أثبت حرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فقال : " أما كونها دار حرب أو سلم فهي مُركَّبة فيها المعنيان: ليست بمنزلة دار السلم التي يجري عليها أحكام الإسلام لكون جندها مسلمين، ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار، **بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحقه، ويعامل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه " . انتهى كلامه** [97]

(وقد وقع اختلال في الفهم من بعض المتشددين حيث تعلقوا بهذه الفتوى دون الرجوع إلى أهل العلم والاختصاص، ليبينوا فحوى هذه الفتوى ومعناها والسياق الذي قيلت فيه، والذي أدى إلى هذا الاختلال هو عدم الوقوف فضلًا عن الدربة والاستخدام للمنهج العلمي في كيفية توثيق النصوص وفهمها لدى علماء المسلمين، حيث انتقى هؤلاء الأحَداث وغير المتخصصين فتوى ابن تيمية بشكل مُحرف، فحرفوا كلمة: [ويعامل الخارج عن شريعة الإسلام] بكلمة [ويقاتل الخارج عن شريعة الإسلام]، وبذلك برروا أعمال القتل والعنف والتخريب وترويع الآمنين من المسلمين وغير المسلمين،

والصواب من عبارة ابن تيمية ما أثبتناه بدليل:

أ- أنها وردت هكذا [ويعامل] في النسخة المخطوطة الوحيدة الموجودة في المكتبة الظاهرية وهي برقم (2757) في مكتبة الأسد بدمشق.

ب- فيما نقله ابن مفلح وهو تلميذ ابن تيمية وقريب العهد منه فقد نقلها على الصواب [ويعامل] في "الآداب الشرعية" [98]

---

[97] الفتاوى الكبرى ج3 ص533 ط. دار الكتب العلمية

[98] الآداب الشرعية (1/ 190، ط. عالم الكتب)

د- نقلها الشيخ رشيد رضا في "مجلة المنار" على الصواب، وأما هذا التصحيف (الخطأ) فقد وقع أول ما وقع قبل مائة عام تقريبًا في طبعة "الفتاوى" التي أخرجها فرج الله الكردي عام 1327هـ، ثم تابعه على ذلك الشيخ عبد الرحمن القاسم في "مجموع الفتاوى" (28/ 248) وأصبح هذا النص هو المشهور والمتداول لشهرة طبعة "مجموع الفتاوى" وتداولها بين طلبة العلم.

إن غياب التوثيق في فتوى ابن تيمية أدى إلى تحريفها بشكل أهدر كثيرًا من دماء المسلمين وغيرهم، بل وأضر بمقاصد الشريعة وأهدافها، وتسبب في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، ووصمهما بالتطرف والعنف والإرهاب وبخاصة وأن ترجمة الفتوى إلى اللغة الإنجليزية والفرنسية قد اعتمدت النص المُصَحَّف). [99]

كما أنه عُقد في عام 2010 م بماردين، مؤتمر حول الفتوى، شارك فيه علماء وفقهاء من العديد من الدول من بينهم عبد الله بن بيه ومصطفى سيريتش وعبد الوهاب الطريري، وجاء في بيان المؤتمر عدة نقاط منها أن فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية في ماردين لايمكن بحال من الأحوال أن تكون متمسكا ومستندا لتكفير المسلمين والخروج على حكامهم...بل هي فتوى تحرم كل ذلك"

ونخلص من هذا أن فتوى ابن تيمية نقلت بخطأ فادح فى التصحيف مما أدى إلى اتخاذه من قبل الجماعات المتطرفة سنداً لتبرير أعمال العنف وإهدار دماء المسلمين بلا رادع ونشر ثقافة العنف بين الناس وإظهار المسلمين فى كل أنحاء العالم على أنهم قتلة سفاحين يعيثون فى الأرض سفكاً للدماء.

وفى النهاية نقول إن أصحاب تلك العقائد المنحرفة أخطأوا حينما قسموا الديار لدار كفر ودار إسلام واعتبروا دار الكفر هى دار الحرب ، كما أنهم اعتبروا دار الحرب هى

[99] فتوى صادرة من دار الإفتاء المصرية برقم 2425 بتاريخ 2011/8/14 على الانترنت

ديارنا نحن الآن ، تلك الديار التى تقام فيها الشعائر وينطق أهلها الشهادتين ، غير أنها- فى زعمهم - لا تحكم بشريعة الله ، وذلك كله فهم مغلوط ومعكوس ، فالديار التى أقرها العلماء دار إسلام ينادى فيها بالصلاة وتقام فيها الشعائر ويحكم فيها بحكم الله وهو ما يوجد فى بلادنا والحمد لله ، ودار حرب وهى التى يعتدى فيها الكافرون على المسلمين ، ودار كفر أو دعوة وهى التى يعيش فيها الإنسان آمناً يستطيع أن ينشر فيها دعوة الإسلام وهو ما يريده الله منا ، فالإسلام أصله السلام ونشر الخير ، وهذا ما حدث قديماً ، فأعداد الذين دخلوا الإسلام وقت الهدنة والسلام يفوق كثيراً من دخلوا الإسلام وقت الحرب وذلك لما وجدوه من سماحة وحسن عشرة ورحمة فى قلوب المسلمين وتلك هى سماحة الإسلام ، ولهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لئن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم " [100] ، فالأصل هو هداية الخلق ودعوتهم إلى الخير وإحياء النفوس وليس قتلهم وإفنائهم والإعتداء عليهم .

الوهم الخامس: (مفهوم الوطن)

[100] صحيح البخارى برقم 3701

ليست قضية رئيسية فى أعمال القتل والتخريب وإنما لها أكبر الأثر على أفعال وسلوك تلك التيارات المتطرفة ، فالإنسان الذيشعر بوطنه لا يستطيع إشعال الفتنة فيه ، ولا تخريبه ولا الاعتداء عليه ، ولا يدفعه قلبه إلى هدم مؤسسات ذلك الوطن الذى يعيش فيه والذى قد نشأ فيه من قبل وفيه أهله وماله وإخوانه وأصدقاؤه وجميع رحمه..

ويزعم أصحاب تلك العقائد أن الوطن الحقيقى هو الإسلام .. وما عدا ذلك لا يعول عليه، و يدعون أن الوطنية وثنية جاهلية ، والعقيدة هى الوطن الحقيقى الذى يجمع الناس ، وأن حب الوطن شعور بشرى لابد من مقاومته ، ولم تكن تلك الأوطان موجودة فى صدر الإسلام وإن الحدود إنما هى من فعل الإستعمار الذى جاء وقسم الدول الإسلامية إلى مجموعة دول لا ينتمون إلى بعضهم ، وبذلك يكون الوطن حفنة تراب لا قيمة لها ولا يدافع عنها الإنسان ولا ينتمى لها ، كما أن حب الأوطان والانتماء لها شرك من دون الله فالحب كله يكون لله لا لغيره .

ودعونا نرد على هذه القضية بتفصيل ونورد ما أخطأ فيه هؤلاء من استقراء للأدلة وبحالة نفسية غير متعصبة لكى نصل إلى الحقيقة التى يرضاها الله ورسوله ...

أولا : ماهو الوطن ؟

باختصار شديد .. الوطن هو تلك الأرض التى ولد فيها الإنسان ونشأ فيها هو وأهله وأجداده ، عاش فيها وأكل من ترابها وارتبط بها ارتباطاً تاريخياً ، وكان له فيه أهل وأخوة وصلة رحم ..

من هذا التعريف .. هل يكون حب الأوطان محرماً ؟

الاجابة : بالطبع لا .. فحب الوطن بهذا الشكل لا يتنافى أبداً مع ما يقره الإسلام ، فلم يوجد فى القرآن والسنة دليل على وجوب بغض البلد الذى نشأ فيه الإنسان أو كراهيته

، أو معارضته لحب الله ورسوله ، وأما تفسيرهم لقول الله تعالى : " وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ " فى الآية الكريمة : " قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ " [101] ، تفسيرهم للآية بأنها الوطن ، وبالتالى فإن حب الوطن مغاير لحب الله ورسوله فهذا عين الخطأ ..

وذلك لأن الحب فى القلوب لا ينافى بعضه بعضاً ، فأنت تحب ولدك وفى نفس الوقت تحب أمك .. لا يتعارضان ، وحبك لزوجتك لا ينافى حبك لإصدقائك وهكذا ، فليس من المعقول أن نجعل حب الوطن فى منزلة مع حب الله ورسوله ، فهذه قرينة وتلك قرينة أخرى ، ولكن المقصود فى الآية الكريمة أنك إذا كان حب تلك الأشياء يجعلك تعصى الله وتبتعد عن طاعته فهى محرمة ، فحبك لولدك لو كان مانعاً لك مثلا عن أداء أوامر الله يعتبر حراماً فى ذلك الوقت ،لذلك قال صلى الله عليه وسلم :" الولد مبخلة مجبنة" [102].. أى أن حبك لولدك لو جعلك تبخل عن أداء الزكاة مثلا يعتبر محرماً ، ولو فرض عليك الجهاد فى سبيل الله فجبنت من أجل ولدك صار هذا الحب محرماً ، ففى هذه الحالة حدث تعارض بين الأمرين ..

أما حب الأوطان فلا يتعارض فى الأحوال الطبيعية مع حب الله ورسوله ، بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب بلده والمكان الذى نشأ فيه وهو مكة ، فقال وهو مهاجر منها : " والله إنك لأحب البلاد إلى قلبى وأحب البلاد إلى الله " [103] ...

ويذكر المتطرفون هذا الحديث بأنه مخصوص لمكة من دون بلاد الدنيا ، وهذا فهم يدل على أنهم لم يجمعوا الأدلة معاً كما هو المنهج العلمى ، ففى حديث آخر أن رسول الله

---

101 سورة التوبة – آية 24

102 سنن ابن ماجه برقم 3666

103 التمهيد لابن عبد البر 6/33

صلى الله عليه وسلم قال : " اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد" [104] فهو بذلك فى حب وشوق إلى المدينة أيضاً فهى المكان الذى فيه يعيش وفيه أهله وأصحابه ... فحبه لمكة لا يعارض حبه للمدينة ، وحبه للمدينة ومكة لا يعارض حبه لله ، وحبه لله لا يعارض حبه لزوجته وأصحابه .. وهكذا يظل الإنسان محباً لكل من حوله وجميع ما حوله حتى يصل إلى الله ، لذلك كان النبى عليه السلام رحمة للعالمين لأنه محباً لجميع الخلق وجميع الأكوان .

وبهذا لا يتعارض حب الأوطان مع حب الله ورسوله بل إن تجاهل هذا الحب يعد عقوقاً ، فالوطن فيه أهل الإنسان ورحمه وقطع تلك العلاقات قطع للرحم ولابد ، فنحن نقول الآن أن حبك لمصر مثلا لا يعارض حبك للعالم العربى ، وحبك للعرب لا يعارض حبك للعالم الإسلامى ، وحبك للعالم الإسلامى لا يعارض حبك لجميع من نطق الشهادة فى كل الدنيا ، ولا يتعارض حبك لمصر حتى وإن أقيمت دولة الخلافة مثلا فى العالم الإسلامى كله ، وهكذا لا تعارض بل إن قلب المسلم يسع الجميع والشرع لا يرى بأساً بانتماءات متعددة فالنبى كان يحب المدينة مع حبه لمكة وكان يحب الإنصار مع حبه للمهاجرين . [105]

ويقول الإمام الرازى رحمه الله فى تفسير قوله تعالى : " وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُواْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا " [106] دليل على أن أعظم مشقتين على النفس هى القتل وترك الأوطان وفيه دليل على جواز حب الوطن والحنين إليه ، لذلك يستجيب الله دعاء المسافر التارك لوطنه لما به من ألم وعذاب لتركه وطنه وتملك حالة الضعف والإنكسار منه وفي ذلك قال صلى الله عليه وسلم :" السفر قطعة من العذاب ".[107]

---

104 صحيح البخارى برقم 5677

105 الحق المبين فى الرد على من تلاعب بالدين للدكتور أسامة الأزهرى – بتصرف

106 سورة النساء – آية 66

107 صحيح البخارى برقم 1710

وقد أورد البخارى من حديث أنس رضي الله عنه يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته " [108] أى أسرع اشتياقاً لبلده المدينة المنورة .. فقال ابن حجر فى فتح البارى : وفيه دليل على مشروعية حب الأوطان وحب المدينة والحنين إليها .

ولهذا نقول أن حب الوطن فطرة وغريزة لا ينبغى للإنسان أن يقاومها أو يتبرأ منها فهى ليست مشاعر سيئة أو معصية بل حنين طيب إلى الأرض التى نشأت بها ، فهى فطرة نقية طيبة كحب الوالد لولده ، وفى هذا الشأن يقول ابن الجوزى : " والأوطان أبداً محبوبة " ، وذلك حتى مع الطيور والحيوانات تحن إلى الأرض التى تعيش فيها ، فما بالك بالإنسان صاحب الشعور والفطرة السليمة ؟

وأما قولهم أن تلك الحدود بين الدول الإسلامية هى من فعل الإستعمار فهذا كلام ينافى التاريخ المجمع عليه ، ونظرة ضيقة لما كانت عليه أحوال العالم قديماً ، فإننا إذا نظرنا إلى مصر مثلاً أو الحجاز أو اليمن أو الشام .. كل هذه كانت مسميات لتلك الأوطان من قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصلا ، بل إن مصر عرفت بحضارتها منذ الآف السنين ، وعرفت اليمن والعراق والشام كذلك ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : " سوف يفتح الله عليكم مصر" [109] .. الحديث ، أى أن مصر كانت بقعة ووطناً قبل الفتح وليست بعد الإستعمار ..

ولا بأس بما حدث فى هذا التقسيم بين الدول العربية والإسلامية ، فهناك العديد من الجوانب التى يستطيع أن يجتمع عليه المسلمون ، كمناسك الحج ، والجامعة العربية ،

[108] صحيح البخارى برقم 1708
[109] رواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق 46/162

ومجالس التعاون الخليجى وغيرها ، يستطيع المسلمون بتلك المؤسسات أن يقيموا وحدةً قوية يستطيعوا من خلالها إرساء مبادئ القوة للدول العربية والإسلامية .

ولعل ما حدث فى حرب السادس من أكتوبر وتعاون العرب خير دليل على قوة العرب عند اتحادهم حتى ولو يكونوا تحت قيادة واحدة ، فقد قامت الحرب بتعاون القوات المسلحة المصرية مع القوات المسلحة السورية ، حينما اتفق العرب وقتها على السيطرة على تصدير البترول إلى الغرب حتى تكون ورقة للضغط علي تلك الدول إن قامت بمساعدة العدو ، وهذا ما حدث وكان له عظيم الأثر فى تحصيل العديد من المكاسب السياسية والعسكرية فى تلك الفترة .

خاتمة

تلك كانت محاولة مختصرة وجهد بسيط مقارنةَ لما قام به علماء هذه الأمة بالرد على تلك الأوهام والأخطاء الشرعية الخطيرة التى أودت بالمجتمعات الإسلامية إلى التهلكة والفرقة وجعلت فكر التكفير سائداً بين الناس ، فأصبح الإبن يكفر أباه والأخ يكفر أخاه وأصبح كل إنسان يدعى لنفسه الإسلام الصحيح وشاع الكبر والغرور بين أوساط الشباب كلهم مدعين أنهم هم الإسلام وغيرهم ليسوا كذلك ..

والإسلام من ذلك براء ، فالإسلام نزل كى يجمع الناس لا يفرقهم ، يؤلف بين القلوب لا أن ينشر العداوة والبغضاء بين أبناء البيت الواحد ، وفى قول الله تعالى :

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ " [110] حكمة عظيمة ومقصد جلل وهدف أسمى ، فالهدف من وجودنا على هذه الأرض هو التعارف والتآلف ونشر المحبة والود بين القلوب والشعوب ، والإطلاع على ثقافات الغير ، واكتساب العلم والخبرات المختلفة ، مما يؤدى إلى عمران هذه الأرض التى جعلها الله فى أيدينا أمانة وأمرنا بإعمارها ، وليس الهدف والغاية هو الاستعلاء بالسلطة والانفراد بالحكم واتخاذ ذلك مبرراً لإباحة القتل وسفك الدماء .

وفى قول الله تعالى : " قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ " [111] رؤية لأولى الألباب ، أى اغمروا حياتكم بالنظر والتدبر والتأمل فى تاريخ الأمم وحياة الشعوب ، حتى تصقلوا حياتكم بخبراتهم وتجاربهم ، وفى النهاية تكون الأمم لبعضها مصادر للعلوم والخبرات ونكون قد حققنا ما أراده الله منا وهو التعارف .." لِتَعَارَفُوٓاْ " [112]

أرجو أن نكون قد أوضحنا لشبابنا حقيقة تلك الرسالة العظيمة وهى رسالة الإسلام وبيَّنَّا بعضاً من أخطاء هذه الأفكار الخاطئة ، وفتحنا لهم باباً يدخلون منه إلى كتب أهل العلم لينهلوا من هذا النبع الصافى الذى ينظم لهم تلك المغالطات الفكرية ويضبط لهم منهجية التفكير ويصل بهم إلى بر السلام النفسى والداخلى بعد أن حل لهم إشكاليات وتناقضات كثيرة فى شرعنا الحنيف .

وأرجو من الله أن يجعل هذه الرسالة باباً لهداية الناس وتصحيحاً لصورة الإسلام فى قلوبهم ، وان تكون فى ميزان حسناتى يوم لقائه إنه حليم شكور ..

وصلى الله على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

110 سورة الحجرات – آية 13

111 سورة الأنعام – آية 11

112 سورة الحجرات – آية 13

المراجع

1- القرآن الكريم
2- صحيح البخارى
3- صحيح مسلم
4- سنن ابن ماجه
5- سنن النسائى
6- مسند الإمام احمد
7- شرح صحيح مسلم للإمام النووى
8- شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى
9- الآداب الشرعية لابن مفلح
10- المتشددون للدكتور على جمعة
11- رؤى وأفكار 1،2 للدكتور على جمعة
12- معالم على الطريق للاستاذ سيد قطب
13- المقارنات التشريعية للشيخ مخلوف المنياوى
14- نظرية الحرب فى الإسلام للإمام محمد أبو زهرة
15- نظرية الحرب فى الإسلام وأثره فى القانون الدولى العالم للدكتور مفتاح ضو
16- قواعد الأحكام فى مصالح الأنام للإمام العز بن عبد السلام
17- الإعتصام للشاطبى
18- مقدمة ابن خلدون
19- الفريضة الغائبة لمحمد عبد السلام فرج
20- نقض الفريضة الغائبة للدكتور جاد الحق على جاد الحق
21- فى ظلال القران للاستاذ سيد قطب

22- الحق المبين فى الرد على من تلاعب بالدين للدكتور أسامة الأزهرى
23- عبد الرزاق السنهورى من خلال أوراقه الشخصية لنادية السنهورى
24- حضارة العرب لجوستاف لوبون
25- الدرر السنية فى الأجوبة النجدية
26- مجموع الفتاوى لابن تيمية

فهرس الموضوعات

مقدمة

الفصل الأول : رؤية شاملة

- الإسلام .. ما هو
- الإسلام ومنهجية التفكير
- مفهوم العبادة
- رؤية الجمال عند أهل التكفير
- ميلاد العنف
- رؤية الإسلام للعنف
- سمات أهل العنف من المسلمين

الفصل الثانى : الأوهام الخمسة للجماعات المتطرفة

- قضية الحاكمية
- قضية الجهاد
- قضية التمكين

- دار الكفر ودار الإسلام
- مفهوم الوطن